Romanticism in Modern Arabic Literature & The Contribution of Gibran Khalil Gibran

Dissertation submitted to Jawaharlal Nehru University
in partial fulfillment of the requirements
for the award to the degree of

MASTER OF PHILOSOPHY

Submitted by
ABDUL QUDDOOS

Under the supervision of
DR. ZOHURUL BARI AZMI

Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Sudies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067
INDIA
1999

مركز الدراسات العربية و الأفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली–110067

Dated:21/07/99

Declaration

I declare that the material in this dissertation entitled " **Al-Harakah Al-Romansia Fil-Adab Al-Arabi Al-Hadith Wa Musahamato Gibran Khalil Gibran (Romanticism in Modern Arabic Literature & the Contribution of Gibran Khalil Gibran)**" submitted by me is original research work and has not been previously submitted for any other degree of this or other university/institution.

21/7/99
Abdul Quddoos
Name of the Scholar

Z Bari 21.7.99
Dr. Z. Bari Azmi
Supervisor
CAAS/SLL&CS/JNU

F.U. Farooqi
21/7/99
Dr. F.U. Farooqi
Chairperson
CAAS/SLL&CS/JNU

GRAM:JAYENU TEL: 6107676, 6167557, EXT. 2253, TELEX:031-73167 JNU IN FAX:Fax: 91-011-6198234, 91-011-6165886

رسالة البحث

للماجستير فى الفلسفة

الحركة الرومانسية فى الأدب العربى الحديث

و مساهمة جبران خليل جبران

الباحث

عبد القدوس

تحت إشراف

الدكتور ظهور البارى الأعظمى

مركز الدراسات العربية و الإفريقية

مدرسة دراسات اللغة و الأدب و الثقافة

جامعة جواهر لعل نهرو ، نيو دلهى- ١١٠٠٦٧

الهند

١٩٩٩

الإهداء

إلى

أمى الحنون و أبى المشفق

مقدمة

منذ فترة مبكرة كانت طبيعتى تتأثر بما يلاقيه الناس من الشقاء و العناء و الحزن و الألم و الكآبة و الأسى ، و عند ما وصلت إلى المرحلة الثانوية و بدأت قراء ة الكتب الأدبية و خاصة الكتب المليئة بالعواطف و المشاعر للحزن و الألم و الشقاء و العناء ، مثلا كتب جبران خليل جبران ، و خليل مطران ، و مصطفى لطفى المنفلوطى ، و على طنطاوى و غيرهم و أثرت مثل هذه الكتب علىّ أعظم تأثير ، و أعجبت خاصة بأسلوب جبران خليل جبران إعجاباً كبيراً و عند ما مررت بكتب جبران كأنما وجدت بغيتى التى كنت أفقدها منذ زمن ، لذلك وقع إختيارى على موضوع يتناول المشاعر العاطفية التى كانت نفسى متأثرة بها منذ نعومة أظفارها ، و قد عالجها جبران خليل جبران بأسلوب ممتع رائع ، فقررت إختار موضوع "الحركة الرومانسية فى الأدب العربى الحديث و مساهمة جبران خليل خبران"

و كانت فترة القرن التاسع عشر و القرن العشرين فترة حاسمة فى تاريخ الأدب العربى الحديث ، و قد وقعت فى هذه الفترة تغيرات كبيرة و تقلبات عظيمة لا يزال يذكرها التاريخ الإنسانى ، و كذلك حدثت فيها حركات و إتجاهات أدبية كثيرة ، و كانت تتميز هذه الفترة بإنقلابات هائلة فى العلوم و التكنولوجيا و الصناعة و المستحدثات المتنوعة ، و كان هناك تبادل كبير بين الثقافات و الحضارات المختلفة و أثرت إحداها على الأخرى ،

فكان من الطبيعى أن تخضع اللغة العربية لهذه التطورات ، نتيجة من ذلك دخلت الحركة الرومانسية فى الأدب العربى الحديث و أثرت عليه تأثيراً أبلغ ، و أضافت إليه ثروة قيمة لا تزال تفتخر بها اللغة العربية . و قد لعب جبران فى تطويرها دوراً رائداً أساسياً .

و قد اخترت هذا الموضوع لكى نتعرف على مدى تأثر هذه الحركة الرومانسية العربية و تأثيرها على الأنواع الأدبية الأخرى ، و كذلك أهميتها فى الأدب العربى.

و قد وزعت هذه الدراسة على ثلاثة أبواب و مقدمة ، فى الباب الأول الذى يحتوى على ثلاثة فصول ، تتبعت نشأة الحركة الرومانسية و تطورها ، و الأسباب و العوامل التى سببت لنشأتها ، وكيف إنتقلت هذه الحركة إلى اللغة العربية . و فى الباب الثانى الذى أيضاً يحتوى على ثلاثة فصول ، تناولت فيه ميزات الرومانسية العربية و ذكرت فى ذلك ثلاث جماعات ، جماعة الديوان ، و جماعة أبولو ، و جماعة المهجريين و بينت ميزات هذه الجماعات الرومانسية ، لأن هذه الحركة الرومانسية العربية وجدت بفضل هذه الجماعات . و فى الباب الثالث و هو أيضاً يشتمل على ثلاثة فصول ، ذكرت فيه حياة جبران ، و أثاره الأدبية ، و مدى الرومانسية فيها.

و قد واجهت مشاكل كثيرة و صعوبات عديدة فى إكمال هذه الأطروحة ، فلو لم يكن تشجيع و تحفيز الأصدقاء المخلصين و مساعدتهم الغالية ، لما يمكن لى تجديف هذه السفينة إلى الساحل ، و قد ساعد فى ذلك كثير من الإخوة و الأصدقاء المحترمين خاصة الأخ الكريم الغالى أشفاق أحمد الذى لا أنسى فضله أبداً ، و الأخ المحترم مجيب الرحمن الذى قام بإرشادى و توجيهى فى كل مرحلة من مراحل حياتى المهمة ، و كذلك أشكر

الأخ العزيز سراج أحمد الذى ساعدنى فى طباعة هذه الأطروحة مساعدة كبيرة ما كنت أتوقعها منه .

و أخيرا أشكر أستاذى و مشرفى المشفق الدكتور ظهور البارى الأعظمى الذى قام بإشرافى و توجيهى فى كل مرحلة من مراحل إعدادها مع صحته العليلة ، و تحمل المشاكل و الصعوبات من أجلى ، فى الحقيقة لو كنت إستطعت من تقديم هذه الأطروحة فكان ذلك بفضل جهوده القيمة و إرشاداته الغالية و هو ما زال و سيزال مصدر العطاء و التوجيه بالنسبة لى ، و أدعو الله سبحانه و تعالى أن يجزيه جزاءً حسناً.

عبدالقدوس

٢١ / ٧ / ١٩٩٩ م

الباب الاول

الحركة الرومانسية

الفصل الأول

النشأة التاريخية للحركة الرومانسية

تختلف الأقوال و الآراء فى نسبة الكلمة و إشتقاقها اللغوى ، و لكن القول الأرجع هو أن هذه الكلمة مأخوذة من جذرها الأصلى "Roman" معناه القصة الخيالية الطويلة أو إحدى قصص المخاطرة و المغامرات التى سادت فى القرون الوسطى شعراً و نثراً ، و عن هذه الجذر تفرعت و تطورت كلمات و أوصاف أخرى فى لغات مختلفة و فى رأى الدكتور ياسين الأيوبى إن اللغة الإنكليزية إقتبست هذه الكلمة من اللغة الفرنسية و هو يقول :

" و قد إقتبستها اللغة الإنكليزية عن اللغة الفرنسية ، فحملت فيما بعد معانى الخيال ، و المغامرة و أول مرة أستعملت هذه اللفظة فى الإنكليزية كانت تدل على نوع من الإغراق فى الخيال و هو ما لم يكن مستحبا فى ذلك الوقت"[1]

---

١. الدكتور ياسين الأيوبى ـ مذاهب الأدب ـ ط بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ١١٩

أما فيما يتعلق باللغة الفرنسية فقد أستعملت هذه الكلمة فى معان مختلفة ، و تغيرت معانيها مع مضى الوقت و لكنها كانت تدور حول معنى واحد و هو الحنين و الحزن ، و يقول الدكتور ياسين الأيوبى :

" و بالنسبة إلى اللغة الفرنسية فقد أستعملت فى أكثر من معنى و على فترات تاريخية متباعدة ، لكننا نؤكد على نقطة هامة فى هذه الكلمة و هى المعنى الخاص " الحنين و الحزن " على شئ من السرد الذى تعتاد عليه هذه الكلمة و هى تستعمل بالمعنى القومى فى إحدى لهجات سويسرا التى تطورت عن كلمة "رومانيوس" (ROMANIUS) التى أستعملت بمعنى الآداب و اللغات القومية المتفرعة عن اللغة اللاتينية"[٢]

و إن جان جاك روسو، و هو من كبار الأدباء الفرنسيين الأوائل إستعمل هذه الكلمة ،إنه يصف بهذه الكلمة إحدى بحيرات سويسرا قائلاً : "هذه البحيرة ذات الوحشة الرومنطيقية"[٣] و إن أحمد أمين قام بتوضيح معنى هذه الكلمة و تفصيلها بهذا الطريق "من معانى هذه الكلمة : الدهشة و العجب و الجدة و الطرافة و التشويق و هذه المعانى تتضمنها كلمة (ROMANCE)"[٤]

---

٢. نفس المصدر ص ١٢١

٣. د. غنيمى هلال ـ الرومانتيكية ـ لا تجود سنة و مكان الطبع ـ ص ٦

٤. أحمد أمين ـ النقد الأدبى ـ ط القاهرة ، لا توجد سنة الطبع ، ص ٣٣٧

و كل ذلك يؤكد على جملة معان و أوصاف إكتسبتها كلمة "رومانسية" و ما زالت الكلمة محافظة عى ذلك المعنى بطريقة أوأخرى و من أهم تلك المعانى ، الفروسية و المغامرة و المشاعر النفسية و الخيال و المعنى القومى و غير ذلك مما دخل إليها مع تطور الآداب.

لا شك أن الحركة الرومانسية إنبثقت نتيجة لأحداث و تغيرات إجتماعية و سياسية و فكرية فى فترات مختلفة و من ينابيع متعددة ، لذلك تعريفها بشكل محدد أمر صعب للغاية ، و نشأت هذه الصعوبات بسبب أن هذه الحركة و لدت و ترعرت أساساً فى داخل الأدب الكلاسيكى و خاصة الرومانسية الفرنسية.

تعريفاتها :

ولدت الحركة الرومانسية فى بيئة جديدة على الوسط الأدب الإجتماعى و السياسى السائدين ذلك الوقت. لأنها إنطلقت فى الأصل من نفوس جائشة بالرفض و التمرد، راغبة فى الجديد ، طامحة إلى تجسيد ماتعانيه ، عرّفها كل شخص حسب إدراكه بها ، لذلك توجد لها تعريفات كثيرة وصلت إلى أكثر من مائة و خمسين تعريفاً. يقول الدكتور الأيوبى فى ذلك " من المدهش أن يكون البعض قد وجد للرومنطيقية أكثر من مائة و خمسين تعريفاً جمعها الناقد الألمانى شليجل بمائة و خمس و عشرين صفحة دون أن يهتدى إلى تعريف نهائى"[٥]

---

٥. الدكتور ياسين الأيوبى ـ مذاهب الأدب ط بيروت ، ١٩٨٤ ص ١٩١

مع أنه توجد هناك إختلافات شديدة فى تعريفها أحاول أن أنقل بعض أهم التعريفات لكبار الأدباء و النقاد الذين لهم قدم راسخ و إلمام قوى فى الأدب و النقد.

عرفها الناقد الألمانى شيلينغ قائلاً : "إنها الفن الذى يكشف فى صور ، و بواسطة الحدس الفنى ، الأفكار المطلقة الكامنة فى أساس الواقع و القادر بشكل أعمق من العقل الإنسانى المحدود على إكتشاف و معرفة العالم المحيط"[٦]

و يقول آميل ديشان (DESCHAMPS)(١٧٩١ - ١٨٧١) " إنها ليست فى العصور الأدبية إلاّ الشئ الجديد ، تصوير المجمتع الجديد ..... إنها الروح الشاعرية فى مقابل الروح النثرية"[٧] و عرفها فيكتور هيجو بأنها "لبرالية الأدب"[٨] وكذلك عرفها الشاعر سومية (Soumet) " بأنها الأدب الذى تغلغل عمقاً فى أسرار قلوبنا من خلال عبقرية الإنفعالات التى يمتلكها الأدباء"[٩] و كذلك عرفها الناقد الألمانى(أ . و . شيلجل) " بأن الرومانطيقية هى وحدة المتناقضات كما يفيد بذلك قوله :

"الذهنية الرومانسية معجبة باستمرار بتقريب المتناقضات : الفن و الطبيعة ، الشعر و النثر، الجد والهزل ، الذكرى و الهاجس ، و الأفكار المجردة ، و المشاعز الحارة ، و الالهى و الأرضى ، و الحياة و الموت ، تتجمع كلها و تنصهر فى بوتقة الأدب

---

٦. س . بتروف - الواقعية النقدية - وزارة الثقافة - دمشق عام ١٩٨٣م ، ص ٦٤

٧. الدكتور ياسين الأيوبى - مذاهب الأدب ط بيروت ، ١٩٨٤، ص ١٩٢

٨. نفس المصدر ص ١٩٣

٩. نفس المصدر و الصفحة

الرومانطيقى"[١٠]

أعتقد أن أحسن التعريفات العامة التى تصح على الأدب الرومانطيقى بصورة عامة ما أوضحه الروائى الرومنطيقى ستندال (١٧٨٣ - ١٨٤٢) و هو يقول "الرومنطيقية هى فن تقديم الأعمال الأدبية إلى الجمهور الذى يتقبلها بالسرور الممكن إنطلاقاً من تقاليده و معتقداته الحاضرة ... و للحق نقول ، كل الكتاب الكبار كانوا رومنطيقيين فى زمانهم و ما يجعل الناس كلاسيكيين هو أنهم بعد مائة سنة بدلاً من تقليد الطبيعة ، يغلقون أعينهم و يقلدون آثار الكتاب الذين سبقوهم"[١١]

و عند الدكتور غنيمى هلال :

"إن الأدب الرومانتيكى صورة صادقة للإتجاهات الثورية و الوطنية و قد عبر عن آمال ذلك المجتمع فى أدب فيه الحمية الفنية و الثورة الفكرية و الضيق بالواقع و نشدان السعادة فى عالم الأحزان ، و للرومانسية روح عامة تسيطر على الكاتب الرومنتيكى و آرائه"[١٢]

لاشك أن العاطفة الرومانسية توجد فى الأدب منذ القديم و لكنها أول ما ظهرت كحركة أدبية فى بداية القرن التاسع عشر فى الآداب الأوروبية خاصة الفرنسية و الإنجليزية

---

١٠. نفس المصدر و الصفحة

١١. الدكتور ياسين الأيوبى - مذاهب الأدب ط ١٩٨٤ - بيروت - ص ١٩٣

١٢. د . م . غنيمى هلال - الرومانتيكية - ص ٨.

و الألمانية ، ثم ما لبثت آداب اللغات الأخرى أن تأثرت بها ولاسيما اللغة العربية و يقول الدكتور الطاهر أحمد مكى فى هذا الصدد "فى مطلع القرن التاسع عشر برزت الرومانسية الخالصة ، مضطربة و ذاتية و ركز الشعراء إهتمامهم فى ذواتهم و أرواحهم و وقفوا طويلاً إزاء مشاعرهم المؤلمة و حلموا بما لا يستطيع الواقع أن يقدمه لهم"[١٣]

و كذلك يقول أحمد قبش توضيحا لهذه النقطة "ظهرت الرومانسية منذ القديم عند الشعراء و الكتاب و الرسامين و النحاتين و عند أفلاطون و المسيح و إمرئ القيس و عند كثير من الشعراء الجاهليين و الأمويين."[١٤]

و إن تعيين البدايات الحقيقية للحركة الرومانسية و تحديد زمنها بالضبط أيضاً أمر صعب للغاية ، لأن أى شئ جديد فى الأدب لا يحدث فجأة بدون أسباب و مؤشرات تمهد له طريقاً ، فكلما يخوض شخص فى الدراسة لتحديد نقطة إنطلاق لأى حركة أدبية يضطرت فى ذلك ، كما يقول الدكتور ياسين الأيوبى :

" لأننا كلما نتوغل فى التاريخ تضل بنا أقدامنا ، دون أن نصل إلى نقطة إنطلاق إلا أن الرومانسية خليطة من مشاعر فردية و تطلعات مثاليه، إتخذت لها جذوراً و ينابيع عند أفلاطون ، و الدراسة فى أصول الرومانسية تستتبع دراسة جذور العاطفة

---

١٣. د . الطاهر أحمد مكى ـ الشعر العربى المعاصر ـ ط ١٩٨٦ ـ القاهرة ـ ص ٤٤

١٤. الدكتور ياسين الأيوبى ـ مذاهب الأدب ط ١٩٨٤ ، بيروت ، ص ١٢١

الإنسانيةو المثل الانسانية، و يعتبر أفلاطون أحد المؤسسين لهذا المذهب ، و عند ما نصل إلى مشارف القرن الثامن عشر نجد عوامل إجتماعية و سياسية و أدبية كثيرة قد مهدت لظهور هذا المذهب."[١٥]

و تكتب كلمة الرومانسية بطرق مختلفة و لكن يراد بها معنى واحد . يقو أحمد قبش " الرومانطيقية أو الرومنطيقية أو الرومانتيكية أو الرومنتيكية أو الرومانسية أو المذهب الإبداعى ،كلها ألفاظ وردت فى البحوث الأدبية العربية و كلها لفظة واحدة."[١٦]

و كانت الحركة الرومانسية ثورة على التقاليد و العادات القديمة ، و تمرداً على الأصول البالية ، و حرباً على الكلاسيكية ، و دعوة إلى الحرية و التجديد ، و هى تفضل العاطفة و الوجدان على العقل ، و هى إتجاه مغاير للاتجاه الكلاسيكى ، يقول الدكتور محمد أحمد العزب " إذا كانت الكلاسيكية تمثل جانب التقاليد المرعية و الأصول المقدسة فإن الرومانتيكية تمثل جانب الثورة على التقاليد و الأصول و الخصائص المقدسة.... و يمكن أن يقال بأن الرومانتيكية كانت صرخة إحتجاج فى وجه الكلاسيكية التى أغرقت فى إحتذاء الأنماط و تقديس الأصول و توثين العقل الرصين ، فسخرت من القواعد و التقاليد و أعطت الذوق و العاطفة و الإلهام حرية التحليق و الطيران .... و اتجهت إلى النفس الإنسانية بكل

---

١٥. أحمد قبش ـ تاريخ الشعر العربى الحديث ـ بيروت ، ص ١٩٠

١٦. أحمد قبش ـ تاريخ الشعر العربى الحديث ـ بيروت ، ص ١٨٩

عوالمها الروحية و الشعورية رافضة أن تحبس نفسها فى سجن الواقع المادى و طرحت القوالب الجاهزة جانباً لترود آفاق الخلق الفنى."[١٧]

كانت الرومانسية تؤمن بالإبداع و تحكم العاطفة و الحدس و لاتعنى بالمحاكات و كانت تفضل العناية بالمضمون على العناية بالشكل و كذلك كانت الرومانسية تعتبر أن الإنسان هو منبع جميع القيم و أن الفرد جدير بعناية الأدب ، و لذلك إهتم الرومانسيون فى معظم الأحيان بمشاعر الفرد الخاصة و ترنموا بها و كانوا يتلذذون فى التعبير عن الآلام و الأحزان التى كان المجتمع الإنسانى يواجهها ، و يتضح ذلك فيما قال الدكتور محمد مندور "و الرومانتيكية كحركة إبداعية تتم بالعاطفة الجارفة التى تتحلل من قيود العقل الصارم ، وبأنها أدب ذاتى ينحنى على عوالم الذوات المفردة لينقب عن نزعاتها و أحاسيسها المكبوتة .... و بالفيات العاشق على صدر الطبيعة الرحبة فراراً من عالم المدينة الجاهم و مواضعاته الفظة.... و بإحالة الألم إلى قيمة جمالية يتغناها الشعر ، و يهيم بإستقصائها الشعراء .... و بالبرم أو التشاؤم العاطفى المتأجج الذى تولده وضعية الإنسان فى الكون و تمزقه بين طموحاته الهائلة و إمكاناته المحدودة."[١٨]

و إن الحركة الرومانسية نشأت و تطورت فى أوروبا و كانت إنجلترا فى أوروبا أول مكان أصبحت فيه الرومانسية مألوفة و نالت رواجاً. يقول الدكتور ياسين الأيوبى تأئيداً لهذه

---

١٧. الدكتور محمد أحمد العزب ـ عن اللغة و الأدب و النقد ـ ط القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٣٠٨

١٨. الدكتور محمد أحمد العزب ـ عن اللغة و الأدب و النقد ـ ط القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٣٠٨

الفكرة " من بواعث التأمل و الإعتبار ، أن تكون فرنسا ، قد تلقت عناصر الأدب الرومانسى الأولى من ألمانيا و إنجلترا و هى التى كانت قد صدرت إليها عناصر الأدب الكلاسيكى فى مطلع القرن السابع عشر." [١٩] ومن انجلترا إنتقلت الكلمة إلى فرنسا و ألمانيا و إلى دول أوروبية أخرى مع أن منابع الرومانسية كانت واحدة ميزاتها تختلف من بلد إلى بلد أخر، لأن الأوضاع الاجتماعية كانت تختلف فى كل بلد و يقول الدكتور طاهر أحمد مكى " و مع أن البنابيع الأولى للرومانسية واحدة ، إلاّ أنها أخذت فى كل بلد أوروبى طابعاً متميزاً فالجيل الأولى من الرومانسيين الألمان دعا إلى إعادة تحرير الوجود البشرى من الذاتية المفرطة و طريقنا إلى هذه الصيغة الشعرية الخيال الخلاق، خيال الفنان بخاصة و يقوم العمل الفنى بدور الوسيط ، لأنه يصور رمزياً رؤية الفنان للعالم المثالى ، على حين أن الجيل الثانى رفض رسميا هذا النهج فهو أقل إنجذاباً إلى الأحلام الصوفية و الإشراقية ، و أكثر إتجاها نحو الشعر و ولوعاً بالريف و جلال الجبال." [٢٠]

و كان الرومانسيون الإنجليز يمتازون بسبب أنهم كانوا ينتمون إلى جماعة أو أخرى. لذلك يوجد فى أعمالهم إنسجام و تناغم ، و يقول طاهر أحمد مكى يعالج هذا الموضوع " و تميز الرومانسيون الإنجليز عن الألمان و الفرنسيين بأنهم طوائف فجماعة وردزرورث تؤكد على التناغم بين الإنسان و الطبيعة ، و جماعة و الترسكوت موغلة فى

---

١٩. الدكتور ياسين الأيوبى ـ مذاهب الأدب ط ١٩٨٤ ـ بيروت ـ ص ١٩٣

٢٠. د . طاهر أحمد مكى ـ الشعر العربى المعاصر ـ ص ٤٥

التقاليد تؤكد على الفروسية .... ثم جماعة شيلى و تضم دعاة العالمية ، الذى يحنون إلى العودة إلى إيطاليا و اليونان."[٢١]

و كان فرنسا آخر مكان فى أوروبا وصلت إليها الرومانسية لأن علاقة الكلاسيكية بالناس فيها كانت قوية و راسخة ، وكانت الأوضاع السياسية و الإجتماعية مختلفة عما كانت فى الدول الأوروبية الأخرى و لا نبالغ إذا نقول إن الرومانسية كانت أكثر تعلقا بالثورات السياسية من أى بلد آخر بل يمكن أن نقول إن الرومانسية فى فرنسا ولدت بسبب الثورات السياسية و التقلبات الإجتماعية "و جاءت الرومانسية إلى فرنسا أخيراً و مرد ذلك رسوخ التقاليد الكلاسيكية الجديدة و تدخل الأحداث السياسية و بخاصة الثورة الكبرى عام ١٧٨٩م ، ولا يوجد مكان إرتبطت فيه الحركة الرومانسية بالصراع السياسى و الدينى كما إرتبطت فى فرنسا ، و ما زال الفرنسيون يختلفون بشدة حول تقويم نتائج الثورة بدقة."[٢٢]

إن الآلام و الأحزان من أكبر العوامل و الدوافع للعاطفة الرومانسية ، كلما تشتد الأحزان تشتد قوة الرومانسية ، لأن الحزن عنصر أساسى للرومانسية "إن جذور الرومانسية ترجع إلى ما فى العالم من عذاب و أن الشعب يصبح أكثر رومانسية و خيالاً كلما إزدادت أوضاعه تعاسة و شقاء ، لأنه يفتقد الأمن و الراحة فى بلده ، فيهرب من واقعه إلى الشعور

---

٢١. د . طاهر أحمد مكى ـ الشعر العربى المعاصر ـ ص ٤٥

٢٢. د . طاهر أحمد مكى ـ الشعر العربى المعاصر ـ ص ٤٥

بالغربة و العزلة ، و يتخذ هذا الشعور أشكالاً ، أوضحها التحول إلى الماضى و الهروب إلى فكرة المجتمع المثالى ، والحكايات الجغرافية ، و الخيال و الغموض و الطبيعة و الطفولة و الأحلام و الجنون و كلها متخفية للشعور بالغربة."[٢٣]

و إن الرومانسيين عبروا عن عواطف الحب و أدخلوا فى الشعر نغمة جديدة و هى نغمة العذاب الحلو و الألم اللذيذ و الكآبة الوادعة ، فيصف الرومانسى عذاب نفسه و آلام قلبه و كآبة روحه لإنفصاله عن المحبوبة ، و ينشد الرومانسى أشجى أنغامه عند ما تتعانق فكرة الموت و فكرة الحب فى نفسه.

و يكون للأديب الرومانسى ذوق مرهف و عاطفة قوية و يكون الرومانسى حساساً للغاية ، يتأثر بشئ عادى ، و يستعمل اللغة البسيطة و الألفاظ المألوفة و يكشف عن جمال الألفاظ التى إبتذلها الإستعمال اليومى و يبتدع طرقاً جديدة و لغة جديدة للتعبير عن مشاعرهم، لأن التطورات الجديدة و الإختراعات الحديثة لم تكن تستوعبها اللغة القديمة ، ويقول أحمد قبش " و الرومانتيكى حساس يتأثر بأدنى المؤثرات قوة ، و ينفعل لأقل الإنفعالات شدة و بين الرومانتيكى و المجتمع صراع دائم هو صراع التأثر ، و الفن الرومانتيكى فن جديد ذو أدوات تعبيرية جديدة إبتدعه فى العصر الحديث نخبة ممتازة من الأدباء و الفنانين لاستيعاب الحالات الوجدانية التى ما عادت القوالب القديمة تستوعبها بعد التطورات التى طرأت على المجتمع من صناعة و علم و مدن كبرى.

و خلاصة القول إن الرومانسية أصبحت مذهباً أدبياً بعد قيام الثورة الفرنسية عام

---

٢٣. نفس المصدر ص ٤٦

١٧٨٩م ، بسبب تلك الظروف و الأوضاع التى نتجت من الثورة "إن الرومانسية التى مهدت لها الطريق، آلام الشعب الفرنسى و شكواه من النظم الإجتماعية التى كانت سائدة قبل الثورة الكبرى قد أصبحت مذهباً أدبياً عاماً بسبب الحالة النفسية التى تبحث بعد قيام الثورة الفرنسية و ظهور نابليون ، ثم إنهياره ، و خيبة الآمال التى صاحبت هذا الإنهيار فى نفوس الشبيبة الناهضة الطامحة ، فكان مذهب الشكوى و مرض العصر و التغنى بالأطلال و الإطمئنان إلى سكون الطبيعة و التعبير عن المشاعر الخاصة و التوغل فى الإحساس إلى التصوف ، وكل هذه المشاعر و لدتها ظروف الحياة."[٢٤]

و هكذا نرى أن الحركة الرومانسية التى إنبثقت بكل قوتها قضت على الكلاسيكية و هدمت تلك الأسس و المعايير التى كانت تقوم عليها الكلاسيكية و نفخت روحاً جديداً فى الحياة الأدبية فى العصر الحديث و منحت الأدب إتجاهاً جديداً كان المجتمع يحتاج إليه ، " و هكذا إنقضت الرومانتيكية على الكلاسيكية فسخفت الأساس الفلسفى الذى تقوم عليه ، و أعادت للقيم الفنية شبابها الذى تحقق به نوعاً من الإلهام و الخلق فى التعبير عن عالم الذات الانسانية يرتبط فى حركته بإبداع قيم جديدة ليست جاهزة و لا مفروضة و إنما هى نابعة من صميم العمل الفنى و مستلهمة من قوانيه الخاصة و تقاليد المستحدثة ."[٢٥]

---

٢٤. الدكتور محمد مندور ـ فى الأدب و النقد ـ ص ١٣١

٢٥. الدكتور محمد أحمد العرب ـ عن اللغة و الأدب و النقد ـ ط ١٩٨٠ ، ص ٣١١

الفصل الثانى

الأسباب و العوامل التى دفعت إلى ظهور الحركة الرومانيسة

فى الحقيقة لا تحدث أية حركة جديدة فى أدب أو فى أى شئ أخر بدون أسباب و مقدمات، كذلك يوجد هناك كثير من الأسباب و الدوافع التى عملت فى نشأة الرومانسية و تطورها ، وكان أكبر العوامل فى حدوث الحركة الرومانسية ، الثورة الفرنسية، و هى التى سببت لكثير من التغيرات فى التيارات الأدبية و الإجتماعية و السياسية ، أدت إلى إنشاء بيئة مختلفة " لا شك أن الثورة الفرنسية التى وقعت عام ١٧٨٩م أحد العوامل الكبرى التى كانت باعثا و نتيجة فى آن وواحد للفكر الرومانسى المتحرر و المتمرد على أوضاع كثيرة من بينها الإقطاع السياسى و الدينى و الإجتماعى المتمثل بسيطرة النبلاء و رجال الدين على مقاليد المجتمع و نزواته فكانت ردة الفعل على ذلك كله قوية و عاصفة بمقدار ما تشبع العصر بالأفكار التحررية و اغتذت نفوس الأجيال الطالعة طعم الحياة الجديدة."[٢٦]

و قد ساعد على تأليف هذا الأدب الجديد و تكامل أبعاده عدم قدرة المخزون الكلاسيكى على المواصلة فى التعبير عن المشاعر الوجدانية وكذلك عجزه عن مسايرة

---

٢٦. الدكتور ياسين الأيوبى - مذاهب الأدب - ط بيروت ، ص ١٢٢

العصر بعد التطورات السياسية و الإجتماعية التى تمخضت عنها الثورة الفرنسية ، وكانت الحركات الأدبية دائرة فى كل من ألمانيا و إنكلترا، وكل هذه التطورات التى طرأت على الحياة ساهمت فى إبتداع أدب جديد له هويته و قواعده و أصوله و إن لم يتهيأ له التكامل و الإستقرار و إستلهام ينابيع واحدة و محددة ، فإنها خضعت و ارتكزت بشكل أو آخر على أسس مشتركة و نهلت من أصول عامة.

و إن الأدباء فى مرحلة ما قبل الرومانسية حاولوا أن يشقوا لأنفسهم طرقاً يؤكدون فيها على تطلعاتهم الجديدة و التعبير عن ذواتهم ضمن التيار الأدبى الكلاسيكى العام. و من مميزات هذه المرحلة البدائية الميول الغامضة ذات الإتجاه العاطفى و الإستقرار الذى تطور إلى نوع من تأكيد النزعة العاطفية التى ترجمت إلى أعمال أدبية تميزت بذوق أدبى جديد ، لكنه لم يخرج عن الإطار الأدبى المتبع ، ذلك لأن البيئة الجديدة التى أشاعها أدباء هذه المرحلة هى بيئة شعورية عاطفية أكثر منها تعبيرية.

و يوجد عدد كبير من الرواد الذين ساهموا فى تطوير الحركة الرومانسية مساهمة كبيرة و فى مقدمة هؤلاء الرواد الرومانسيين الأوروبيين جان جاك روسو(١٧١٢ - ١٧٧٨) الذى أسهم إسهاماً كبيراً فى تطوير العاطفة الرومانسية و نشر الوعى الإجتماعى ، و قد أثر تاثيراً كبيراً فى عصره و أوجد لغة نابضة بالحياة و البساطة و الصدق و العفوية و له كتب كثيرة تمثل العاطفة الرومانسية من أهمها "الإعترات" و "آميل" و " أحلام سائح منفرد" و "هيلو ييز الجديدة" و تعتبر "هيلوييز الجديدة" عملاً أدبياً هاماً فى نشأة الرومانسية و تحديد هويتها المذهبية و يقول د . ياسين الأيوبى لقد أيقظت "هيلو ييز

الجديدة" نفوس جيلها على أسلوب جديد و منابع وحى جديد و بعثت فى الحياة الأدبية نمطا من الكلام لم يعرف طريقاً إلى النور إلا مع روسو."[٢٧]

و ليس المراد من ذلك أن روسو كان وحيداً فى هذا المجال بل يوجد هناك كثير من الأدباء و الكتاب و الشعراء فى كل منطقة من مناطق العالم و خاصة فى الدول الأوروبية ، الذين ساهموا فى نشأة الحركة الرومانسية مساهمة ملموسة يقول الدكتور عبد الرحمن عثمان :

"و هذا لا يعنى أن روسو وحده الذى قام بذلك بل شاركه فيه معاصراه ديدرو(١٧١٣ - ١٧٨٤) و فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨) الذى و إن ظل على تأثير و تقدير للأدب الكلاسيكى ولاسيما المسرحى فقد دعا إلى التمرد على سلطة رجال الدين كما دعا إلى الحرية و المساواة و الاعتداد بالطبقة الوسلطى ، و قاد بقرائه إلى السعادة الحقيقية التى تتاح لهم لو أنهم رجعوا إلى الفطرة و بنوا مستقبل حياتهم بأنفسهم كما يفعل الرجال الاقوياء الأحرار."[٢٨]

و كذلك الأدباء و الشعراء الألمان قاموا بدور ملموس فى مجال الرومانسية ، و تركوا آثاراً قيمة فى المسرحيات الشعرية و القصائد العاطفية منهم فريدريك شيللر (١٧٥٩ - ١٨٠٥) و بورجرBurger (١٧٤٧ - ١٧٩٤) و ولفانج جوته Goethe

---

٢٧. الدكتور ياسين الأيوبى - مذاهب الأدب - بيروت ، ص ١٢٤

٢٨. عبد الرحمن عثمان معالم النقد الأدبى - دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤ ص ١٩٠

(١٧٤٩ - ١٨٣٢) " من الأدباء الألمان الذين مهدوا لظهور الرومانطيقية الشاعر ولفانج جوته Goethe (١٧٤٩ - ١٨٣٢) فى روايته الشهيرة "فرترWerther " أو آلام الفتى فارتر."[٢٩]

و تعتبر هذه القصة نادرة فى تمثيل العاطفية الرومانسية و هى قصة تصور حياة شاب خيالى النزعة عاطفى الأهواء يخيب فى حبه فتنتهى حياته نهاية مليئة بالآلام و الأحزان.

و إن روسو طبع الرومانسية بطابعه الخاص و إنه يعتبر جد الرومانسية حتى قال فيه الناقد الفرنسى سانت بوف (Sainte Beuve) " إنه أول من أدخل الأخضر إلى الأدب الفرنسى لشدة تعلقه بالطبيعة."[٣٠]

لقد أثر روسو على الجيل الذى أتى بعده تأثيراً كبيراً فنرى أثره فى كتابات و أعمال الأدباء و الكتاب الذين أتوا بعده و قام بتوجيه الأدباء الرومانسيين الفرنسيين فى عصره يقول الدكتور ياسين الأيوبى " و من تاثيرات روسو على الأدباء الفرنسيين تلك الروايات العاطفية الشهيرة التى ظهرت بعد روسو كرواية (بول فرجينى) لبرناردرن دوسان بير ، و قصة (الراهبه) لديدرو ، و روايتى (أتالا) و (رينيه) لشاتوبريان و هى بمعظمها تصور صراع العاطفة الصادقة الملتهبة مع القدر من جهة و تقاليد المجتمع من جهة ثانية."[٣١]

---

٢٩. الدكتور ياسين الأيوبى - مذاهب الأدب - بيروت ، ص ١٢٦

٣٠. جوستاف لانسون - تاريخ الأدب الفرنسى - ١٤٩/٢ ، مأخوذ من كتاب مذاهب الأدب لدكتور ياسين الأيوبى

٣١. الدكتور ياسين الأيوبى - مذاهب الأدب - بيروت ،ط ١٩٨٤ ، ص ١٢٩

و سر تاثيره على الأدباء الأخرين فى الأدب الرومانسى هو أفكاره و آرائه التربوية و الإجتماعية المتحررة التى تمردت على تقاليد المجتمع و عاداته ولاسيما فكرته المشهورة التى تؤكد على طبيعة الإنسان الخيرة و لكن المجتمع هو الذى يفسده.

و كذلك لعبت مدام دوستايل (١٧٦٦ - ١٨١٧) الشاعرة الفرنسية دوراً بارزاً فى تطوير الذوق الرومانسى و قدمت للرومانسيين المنطلقات الموضوعية التى بنوا عليها أدبهم ، و إن كتابيها (عن الأدب) و (عن ألمانيا) يعتبران المدخل المباشر للأدب الرومانسى الفرنسى ، و ظهرت مدام دوستايل عند ما كانت فرنسا تجتاز بوضع متأزم إجتاح النفوس ولاسيما الفنانة المرهفة التى إستبد باصحابها السفر و الهجرة إلى خارج فرنسا ، وكان الأدباء و الشعراء يعانون من الفقر و الفراغ و الكآبة و الوحدة و يخلدون إلى ذواتهم و يعبرون عواطفهم المكلومة و يصورون الخواطر المليئة بالأحزان و العبرات فنتج من ذلك أدب رومانسى هائل.

و كذلك أسهم شاتوبريان (١٧٦٨ - ١٨٤٨) إسهاماً كبيراً فى توطيد الأدب الرومانسى ، و تبوأ مرتبة رفيعة فنية لا مثيل له ، و أحيا فى الأدب روح الطبيعة و أطلق سراحها من عقال الوثنية ، يقول الدكتور ياسين الأيوبى : " لقد حقق شاتوبريان لأدباء الرومانسية الفرنسية من بعده نموذجاً أدبياً ، تداخلت فيه الطبيعة و المشاعر الذاتية ، من حزن و مناجاة و إنطوائية و تأمل."[٣٢]

---

٣٢. الدكتور ياسين الأيوبى - مذاهب الأدب - بيروت ، ط ١٩٨٤ ، ص ١٤١

و الآن يجدر بنا التوقف قليلا عند لامرتين الذى قام بدور مهم فى خلق أدب رومانسى و بعث فى الأدب روحاً جديدة ، و قد سما فى ذلك إلى تلك الذورة التى يستحيل الوصول إليها و له أعمال كثيرة تمثل العواطف الرومانسية تمثلا رائعاً من أهمها (تأملات) و هى نموذج شعرى مثل الإتجاه الرومانسى و جسده فى أروع صورة.

و بعد ذلك برزت شخصية فذة فى فرنسا لها تأثير كبير على الأدب الرومانسى و هى شخصية فيكتور هيجو ، و هو لم يكن فقط الشاعر الرومانسى الأكبر فى فرنسا بل كان أيضاً قلبها الكبير و عالمها المترامى الأطراف و له نتاجات أدبية هائلة متنوعة من قصائد و قصص و مسرحيات شعرية و نثرية كلها تؤكد هوية المذهب الرومانسى و تؤطد دعائمه و من أهم أعماله.

928"x,M83:9 (S;55) DISS 28N9

(التأملات) و (كروميل) و (أحدب نوتردام) و (كاوراق الخريف) و (لأغانى الأصيل) و مسرحية (هرنانى) و غير ذلك من القصائد و الدواوين الأخرى.

و كانت (التأملات) أشهر ما كتب فيكتورهيجو و يقول الدكتور ياسين الأيوبى فى أهمية التأملات "إنها فى الحقيقة كل الإنطباعات و كل الذكريات و الحقائق و الأطياف الغامضة الضاحكة و المكتئبة التى يمكن أن يحتويها ضمير .... معتادة و مستذكرة شعاعاً إلى شعاع و زفرة إثر زفرة."[٣٣]

TH-8304

و غير هؤلاء الأدباء و الكتاب و الشعراء الذين ذكرناهم يوجد هناك آخرون ساهموا

---

٣٣. الدكتور ياسين الأيوبى - مذاهب الأدب - بيروت ، ص ١٤٩

Jawaharlal Nehru University Library

مساهمة كبيرة و قاموا بتوجيه هذا المذهب الجديد و تطويره إلى ذروة الفن الشماء ، لا يسمح المكان ذكر كل واحد منهم على حدة لذلك إكتفيت بما ذكرت.

تلك هى بعض الأسباب المهمة التى دفعت إلى ظهور الحركة الرومانسية فى أوروبا و عرضنا بعض العناوين البارزة لهذه الأسباب و تجنبنا عن التفاصيل ، مع أنه توجد هناك عوامل أخرى لم تكن أقل تأثيراً و أهمية مما ذكرته و هذا بسبب أن المقال لا يسمح بذلك.

موضوعات الرومانسية

إن الرومانسية تعالج مواضيع متعددة ولاتقف عند موضوع واحد بل تشمل المواضيع الانسانية التى ينفذ إليها الأديب بإحدى ملكاته الشعورية والتأملية،

أما إذا أردنا الحصر والدقة فإن الرومنطيقية لاتحسن معالجة أى موضوع إلا إذا كان منصهراً بوجدان الأديب، فاعلاً فيه ومنفعلا، لذلك فإن معظم الموضوعات الرومانطيقية التى تطالعنا لاتخرج عن العناوين التالية.

١. الطبيعة

٢. الحب والألم

٣. الذات الفردية

٤. الموت

٥. التأمل والشرود و أحلام اليقظة

ولايمكن أن أتحدث عن كل موضوع بالتفصيل لأن بعضها يستوجب تفصيلا والبعض الآخر متداخل بغيره. لذلك أتحدث عن بعض أهم الموضوعات.

١. الطبيعة :

هى من أهم الموضوعات التى تحدث عنها الرومانسيون، وتوشحت بها نفوسهم

ورشحت بأحلى قطرات الحب، فى أفيائها ومرابعها لجأ الشعراء والأدباء إلى الطبيعه لأنها الملاذ الأكبر لمعاناتهم فى حياتهم الخاصة والعامة.

وإن الرومانسيين هم الذين عرفوا أسرارها وقيمها ومتعها فنشروها فى كل مكان طالبين فيها العزاء تارة و خلود النفس تارة أخرى.

لقد دعا روسو إلى العودة إلى الطبيعة وكان يعتقد أن الإنسان يولد نقيا طاهرا من كل الشرور والمفاسد. والمجتمع الإنسانى هوالذى يفسده ويعوده على الرذائل والخطايا ومن أجل ذلك دعا روسو الإنسان إلى الإقامة فى أحضان الطبيعة والتربى فى تعاليمها حتى بلوغه مرحلة النضج وكذلك يدعو شاتوبريان إلى تخليص الطبيعة من الآلهة المتعددة، و تصفيتها من كل أوراق العبودية والمعابد. ينقل الدكتور غنيمى هلال عبارة من رواية (رينيه) لشاتوبريان لإثبات أهمية الطبيعة عند الرومانسيين.

"ماأسعدكم أيها المتوحشون ! آه لو أستطيع أن أتمتع بالسلام الذى لايفارقكم أبداً و بينما أجوب الأقاليم الكثيرة فى قليل من الجدوى، تطلون أنتم جالسين تحت أشجار السنديان، تدعون الأيام تجرى دون أن تحصوها حياتكم كحياة الطفل مترددة بين الألعاب والنوم" ٣٤

وكذلك نرى فيكتور هيجو يتحدث إلى الطبيعة ويناجى الخالق مناجاة العابدالمستكين الضارع فهو يقول :

---

٣٤. د . محمد غيتمى هلال . الرومانتيكية . ص ٨٣

"..... الآن و قد رق إحساسى بهذه المناظر الإلهية : من السهول و الغابات والصخور و الأودية ، والنهرالفضى ، أرى صغرى أمام عجائبك، و يثوب عقلى أمام رحيب ملكوتك ، آلوذبك إلهى، يامن إياه أعبد ، حاملاً إليك فى خشوع بقايا قلب ملئ بعظمتك قد حطمته. وأجثوأمامك مؤمنا يا ذا العظمة بأنك الحق أزلاً و أبداً و أومن أنه من الخير، وأؤ من أنه من العدل أن قلبى قد دمى مادام الله قد أراد ."[٣٥]

و لا نكاد نقرأ قصيدة لأى شاعر رومانسى إلا وللطبيعة فيها النصيب الأوفر

ولعل ماكتبه لامرتين عن الطبيعة أجمل ما قيل، و يكاد لا يدانيه قول آخر.

يقول : "إن الطبيعة أكبر قساوسة الله ، و أمهر مصوريه ، و أقدرشعرائه، و أبرع مغنيه ، و إنك لتجد فى عش العصفور، تتناغى فيه أفراخه تحت رفرف الهيكل الدارس و فى أنفاس الرياح، تهب من البحر حاملة إلى أديرة الجبل المقفرة حقوق الشرع وأنين الأمواج و غناء الصيادين، و فى الزهور ينتشر أرجها فى الفضاء و ينتشر ورقها على القبور، و فى صدى أقدام الزائرين تقع على مضاجع الموتى من هذا لدير.تجد فى أولئك كله من التقى والروعة والتأثير، ماكان فى هذا الدير منه وهو فى إبان عهده و عنفوان مجده" [٣٦]

ومهما نتحدث عن طبيعة الرومانسين، ونحاول التمثيل على أدبها لديهم لن نصل إلى حد، لأنها لوتحددت فى الإطار الجغرافى، إستعصت على التحدد فى الإطار النفسى.

---

٣٥. نفس المرجع ص ١٧٩

٣٦. لامرتين و ـ رفائيل ـ ترجمة أحمد حسن زيات ـ ط ١٩٦٨ ، ص ٦٤

الحب :

الحب كان من أهم المواضيع للرومانسيين ومن يتابع نتاج الأدباء الرومانسيين يجد أن الحب عندهم أقوى العناصر الذاتيه والمشاعر العاطفية على الإطلاق، لدرجة وصل فيها حدود العبادة والقداسة، لقد فهم الرومانسيون الحب ، على أنه شعورى سماوى أخوى يعتمد على صفاء الروح و طهر المشاعر. يتخذ تارة حالة من الشرود وأحيانا أخرى حالة من الوصال اللاواعى، وقد إتخذ لدى البعض نوعا من أنواع العبادة الخالصة تطورت فيما بعد إلى حالة صوفية خالصة، وإن هذه الحالة الصوفية من حب الرومانسيين قد تجلت فى أدبهم وعواطفهم، يقول لامرتين فى حديثه المغرم إلى (جوليا) :

"فلوأن السماء كانت صحيفة، وأرادنى الله على أن أرقم فوقها حبى، لما وسعت هذه الصحيفة ، كل ما أردده فى نفسى ما أريد أن أقوله ، لقد كنت أفرغ من نمنمة الصحائف الاربع وكأنى لم أقل شيئا. والحق أنى لم أقل شيئا فإن الإحاطة باللانهاية والتعبير عنها، محال وباطل" ٣٧

والحب عند الرومانسيين عظيم إلى حد أنه لايكتفى فيه بالكلام و لا بأية وسيلة من وسائل التعبير المعروفة ، و يعبر لامرتين عن مثل هذه العاطفة للحب.

"نخاطب بالنظرات، فلا تكفى ، ونتلمس الكلمات فلا نجد . لقد إنعقدت ألسنتنا من فرط السرور، و اضطربت أعصابنا من شده التأثر، فبقينا صامتين: لا لغة إلا هذا الصمت،

---

٣٧. نفس المرجع ص ١٦٩

ولاحركة إلا هذا السكون، فاما سجودى فملؤه العبادة وأما سجودها فملؤه السعادة: وكانما تنطق هذه الهيئة قائلة، إنهما يتساهمان الحب بالقلب، ويتساقيان الهوى بالنظر"[٣٨]

والتعبير عن الإحساس بالألم والغربة والحزن يعد من عناصر الحب ، يقول الدكتور ياسين الأيوبى "ومن روادف الحب، أومستلزماته ، أو مقوماته ، الاحساس بالألم والغربة والحزن، وكان التعبير عن الفرح وجها آخر للحزن فى الحقيقية ، فهما وجهان للحب يكملان بعضهما البعض، ويتكاملان معا بالحب ومن ثم المزج التلقائى بين وجدان العاشق الرومانسى وأحاسيسة الداكنة لشعوره الدفين بأن حبه لن يدوم وأن هناء ه الذى هو فيه لا يعد و أن يكون سحابة صيف عابرة ، سرعان ماتعقبها سحب أيلول الرمادية، ثم الرياح الشديدة وإنخطاف كل بوارق الصحو و السعادة الموسمية المرتحلة" [٣٩] الفرد دوموسية يعبر نفس العاطفة فى هذه الأسطر:

"أحب ، وأستطيع أن أصرخ دون مبالاة.

أحب ولن يتحدث شئ عن حبى.

أحب، وأنا وحدى الذى أدرى.

وحبيب إلى سرى، وحبيب إلى عذابى.

وقد عقدت العهد أن أحب حبا خاليا من الأمل.

---

٣٨. نفس المرجع ص ١٨٢

٣٩. الدكتور ياسين الأيوبى ـ مذاهب الأدب ـ ص ١٨٠

ولكنه ليس خاليا من السعادة إنى أراك وهذا حبى

أحب وأريد العذاب : أحب واهب عبقريتى جزاء قبلة.

أحب وأريد أن أحس على خدى

فيض نبع من الدموع لا يمكن أن يغيض"[٤٠]

هكذا نرى هذا لنمط من الحب يوجد عند معظم الشعراء و الأدباء الرومانسيين و هم يعبرون عن عاطفة الحب الملتهبة التى تهيج عاصفة هو جاء فى النفوس و تصطخب قلوبهم ، وكذلك التعبير عن الألم و العذاب أمر لازم للرومانسيين المحبين و هذا الألم يتطور عندهم إلى حدود الموت رغبة و إشتهاءً لذيذاً لا تدانيه لذة أخرى ، يقول الدكتور ياسين الأيوبى "الموت عند الرومانطيقى ، حالة مشتهاة فى لحظات تشتد فيها الأزمة النفسية ما بين المرء من جهة ، و طموحه و أحلامه من جهة أخرى أى يعود الرومنطيقى من نشوة أحلامه الواعية و يحس بأن مرارة العيش سوف تعود سيرتها الأولى عندئذ يشتهى الموت."[٤١]

فى الواقع الحب قلب الأدب الرومنطيقى لذلك أسهبت ذكره و ضمنته أموراً أخرى غير الحب كالألم و العذاب و الموت و غير ذلك من ملامح الرومانسية و منابعها.

---

٤٠. د. محمد غنيمى حلال ـ الرومانتيكية ـ ص ١٨٢

٤١. الدكتور ياسين الأيوبى ـ مذاهب الأدب ـ ص ١٨٢

الفصل الثالث

الرومانسية في الأدب العربي الحديث

في الحقيقة أن الجديد في الفن أو في الأدب لا يحدث فجأة ، لابد لذلك من مؤثرات و جذور و مقدمات تسبب حدوث شئ جديد أو حركة جديدة ، و كذلك القديم لا يثمر الجديد بنفسه بل في معظم الأحيان يمنعه من ظهوره ، و لكن روح العصر و تياراته و حركة التأثر و التأثير الإنسانية في االفكرة و الثقافة و الفنون و مقتضيات العصر تفعل فعلها في مساعدة هذا الجديد النأى المتطلع نحو الولادة.

إن روح العصر لها تأثير كبير في حياة الإنسان يقول إليزابيث درو " إنها توثر فينا لا شعورياً مهما نتشدق باستقلالنا أو نحاول جاهدين أن نحقق ذلك الإستقلال ، لأن لون الثقافة و مبلغ و عينا يدفعاننا دائماً إلى إتخاذ بعض المقاييس الفنية و طرح بعضها."[٤٢]

كما أن المقاييش و القيم و روح العصر تتغير في كل عصر و بلاد لسبب أو آخر ، بدأت تتغير الأوضاع الإجتماعية و السياسية و الأدبية في الوطن العربي. و تغيرت القيم و

---

٤٢. اليزابيث درو ـ الشعر كيف نفهمه و نتذوقه ، ترجمة محمد إبراهيم الشويش ،طبعه عنانى الجديدة ـ بيروت ١٩٦١ ، ص ١٠

المثل خاصة بعدحملة نابليون و بعثات محمد على و دوران المطبعة و حركة الترجمة و التأثر الحضارى فى مصر و لبنان و بلاد الشام منذ أواخر القرن التاسع عشر، فدخلت المذاهب الأدبية الغربية فى أدبنا العربى فى مطلع القرن العشرين بسبب الإختلاط الإجتماعى و الثقافى فى نطاق واسع ، و أصبحت المدارس الأدبية السائدة فى الآداب الأجنبية معروفة فى العالم العربى و إن النزعة الكلاسيكية فى الأدب العربى إستحوذت عقول الناس فترة من الزمن بدأت تتنفس نفسها الأخير و لكنها إستمرت فترة أخرى بفعل الدماء الجديدة التى قام بتغذيتها شوقى فى مصر و الجواهرى فى العراق و بشارة الخورى فى لبنان و شفيق جبرى و بدوى الجبل فى سورية. هذه الطاقات الفنية القوية مدت فى عمر الكلاسيكية و منحتها نضارة جديدة و حياة إضافية لكنها لم تكن قادرة على إخفاء ملامح الروح الرومانسى التى بدأت تظهر منذ مطلع القرن الجديد نتيجة لإتصال الوطن العربى بالثقافة الأوروبية و آدابها و للترجمات العديدة عن آدابها و إطلاع الشعراء و الأدباء على لغة أجنبية أعانتهم على تذوق تلك الآداب و التأثر بها فكانت من نتيجة هذا التبادل الثقافى ثروة قيمة ظهرت فى شكل الأدب الرومانسى العربى.

يقول الدكتور ياسين الأيوبى :

" كان للاستشراق الأوروبى و لهجرة المشارقة العرب و خاصة اللبنانيين و السوريين إلى الأمريكيتين و إنتشار الآداب الغربية فى بلاد المشرق العربى و الإطلاع عليها .... كان لكل ذلك آثاره و عوامله فى خلق تيارات أدبية جديدة أو إتجاهات مختلفة غيرت كثيرا من صورة الأدب العربى و أحدثت فيه هزات عنيفة أيقظته من سبات طويل و تقليد

متأصل و أوصلته بآداب الغرب و مدارسه و إبداعاته."[٤٣]

فى مثل هده البيئة ظهرت الرومانسية فى الأدب العربى وغلب هذا لاتجاه على معظم الأدباء والكتاب و الشعراء فى كل بلد من البلاد العربية و أثر أساليبهم تأتيراً أبلغ و قد أدى جبران خليل جبران و خليل مطران و إيليا أبو ماضى و آخرون دوراً رائداً فى تطوير هذا التيار الجديد فى الأدب "نستطيع أن نميز إتجاهاً كانت له الغلبة فى العقدين الرابع والخامس من هذا القرن وهو الإتجاه الرومانسى الذى ساد بين كثرة المجددين فى مصر وغيرها من البلدان العربية ، فكان له فى كل بلد أشياع و أنصار مثل يوسف بشير التيجانى فى السودان، و أبى ريشة فى سوريا و إلياس أبى شبكة فى لبنان ، و إبراهيم طوقان فى فلسطين و إبراهيم ناجى فى مصر" [٤٤]

فكان ظهور هذه الحركة ثورة على الأساليب القديمة والتقاليد البالية، وكان وراء هذه الثورة أسباب سياسية و إقتصادية و إجتماعية و ثقافية كذلك ،كان الإستعمار الإنكليزى قد فرض على حياة الناس القيوده السدود التى أقلقت الناس و أغلقت عليهم أبواب المعيشة والحرية . لذلك إضطروا إلى الإنطواء على أنفسهم. فعبروا عن عواطفهم و مشاعرهم و خلجات نفوسهم تعبيراً مملوءً بعناصر الرومانيسة من الثورة والتمرد والحب والعنف والطبيعة التى تعد من أهم الصفات الرومانسية، يقول شوقى.

"ولابد أن نلاحظ الأسباب السياسية التى دفعت الشعراء فى العالم العربى بين

---

٤٣. الدكتور ياسين الأيوبى ـ مذاهب الأدب ـ ، بيروت ص ٢٧٨

٤٤. شوقى ضيف ـ فصول فى الشعر و نقده ـ ط دارالمعارف ، مصر ، ص ٢٩٦

الحربين الماضيتين إلى هذا الإتجاه فقدكان الإستعمار يضغط على الحريات ضغطاً شديدا، ناصباً حرباً عنيفة على الأدباء الاحرار فانطوى كثيرمن الشعراء على أنفسهم و تغنوا الألم وعكسوه على كل ماحولهم من الطبيعة و كل ما إختلج فى قلوبهم من مشاعرالحب"[٤٥]

وكذلك يقول على عباس علوان"وهكذا كان الجيل الذى ولد وعاش فى ظل الإحتلال متجها إلى الغرب يقبل عليه إقبالاً شديداً حائراً بين ظروفه الموضوعية و بين ضغط الحضارة الأوروبية التى داهمته فى قيمه وتقاليده و موروثه مداهمة عنيفة . ولقد أثار أدباء هذا الجيل المتجه إلى أوربا جملة معارك عنيفة ضد القوى التقليدية والمحافظة"[٤٦]

لقد قام إبراهيم ناجى و على محمود طه بدورهما فى إثراء الأدب الرومانسى بإنتاجاتهما القيمة، فشعر ناجى مملوء بأحاسيسه الرومانسية و أحزانه المثيره للعواطف و أشواقه الهائمة ، وشعره شعر نفس متطلعة إلى الحب مع أنه لم ينعم به إذ يصيبها دائما الإخفاق فيه وعلى نحو ما يخفق فى الحب يخفق فى علاقاته الإجتماعية التى جعلته يصرخ فى أشعاره صرخات الهزيمة ، هزيمة تلقاه فى كل مكان وفى كل شئ، فى الحب و فى غير الحب وهو بذلك شاعر رومانسى خالص، إجتمعت أسباب من حياته و قراء اته العميقة فى الآداب العربية لكى يكتمل فى شعره بحيث يصبح خير من يمثله فى مصر بكل سماته من يأس و تشاؤم و شقاء و عناء.

---

٤٥. شوقى ضيف. فصول فى الشعر و نقده - دارالمعارف مصر ص

٤٦. على عباس علوان - تطور الشعر العربى الحديث فى العراق - ط ١٩٧٥ ، العراق - ص ٣٦٨

وكذلك توجد النزعة الرومانسية بقوة شديدة فى قصائد على محمودطه و لكنه لم يصل فى ذلك إلى ما وصله إليه ناجى لأن حدة الألم عند طه كانت ضعيفة بل كان طه يغرق آلامه فى عالمى الطبيعة والملذات الحسية وكانت له موهبة موسيقية نادرة إستغلها أجمل إستغلال فى أشعاره و فى أحلامه الرومانسية.

و السبب الأخر لظهور الرومانسية فى الأدب العربى الحديث هو إستنفاد الطريقة الكلاسيكية لتمثيل النتاج الأدبى الحديث لأن متطلبات العصر الجديدة و إختراعاته الحديثة قد غيرت أسلوب الأدب والحياة فاختار الأدباء و الكتاب والشعراء الرومانسية التى كان العصر فى أمس حاجة إليها.

"إن الرومانسية قد وجدت طريقها مفتوحاً إلى قلوب الأدباء العرب، لأن الذاتية أو الفردية التى إنطلقت منها الرومانسية كانت من أبرز سمات أدبنا و شعرنا بوجه خاص، وعندما تذوق الأدباء طعم الحرية التعبيرية وهم خارج أوطانهم، وكانوا من قبل فى كبت وحرمان وأغلال، أطلقوا أعنة التعبير، ففنو أوطانهم و بلسموا جراحاتهم ، و ثاروا على القيود والتقاليد، وأسرفوا فى مناجياتهم الوجدانية وهم فى وحدتهم أومع الطبيعة ، وأعادوا بشكل أو بأخر صورة الأدب الرومانسى الخالص الذى ساد البلدان الأوروبية طيلة قرن"، ٤٧.

وإن التطور الإجتماعى والسياسى والفكرى لعب دوراً مهماً فى تطوير الرومانسية

---

٤٧. الدكتور ياسين الأيوبى - مذاهب الأدب - بيروت ، ص ٢٧٩

لأنه وجد فى هذا المذهب الإطار الأدبى السليم لترجمته و إحتوائه، وأحرزت الرومانسية نجاحاً باهراً من الإستجابة الطبيعية لذلك التطور.

وكان جبران خليل جبران رائد الحركة الرومانسية فى الأدب العربى وريادته لاتقل أهمية فى شئ عن كبار أدباء الرومانسية الأوروبية، و قد ذكر من مقومات رومانسيته الدكتور إحسان عباس فى كتابه "فن الشعر" على الوجه التالى.

> "لقد مجدت هذه المدرسة العودة إلى الطبيعة وألهت النغمة و امتلأت بالحنين الطاغى و بالكآبة والألم، وبالنفور من حياة المدينة ، و بالثورة على التقاليد و الشرائع، و قدست شريعة الحب واتخذت القلب إماماً هادياً وغمرتها الرموز الصوفية و ثارت على الشكل و اهتمت بالمضمون وحطمت القالب اللغوى الصلب ولجأت إلى التحليل" ٤٨

وخليل مطران أحد من الرواد الرومانسيين البارزين فى الأدب العربى، إذ كانت ثقافته بالأداب العربية واسعة فتغلغلت فى نفسه النزعة الرومانسية وطفح شعره بالحزن والألم وعكسها على ماحوله من الطبيعة إنعكاسا يمثل بالشجن، كان مطران علما شامخا فى تجديد شعرنا الغنائى بمابث فيه من وحدة موضوعية ومن شذى وجدانى ينفذ نفوذاً إلى أعماق قارئه كان شعره مملوءً بالعواطف الرومانسية والحرية التعبيرية.

---

٤٨. الدكتور إحسان عباس ـ فن الشعر ـ ص ٥١

وكان لمدرسة الديوان ، وجماعة أبولو وأدب المهجر دور كبير فى إنشاء و تطوير التيار الرومانسى فى الأدب العربى الحديث ، ومعظم الشعراء والكتاب والأدباء الذين ينتمون إلى إحدى هذه المدارس الأدبية قاموا بمساهمة كبيرة مرموقة فى تطورها ولا نبالغ إذا نقول لولم توجد هذه المدارس لما توجد الحركة الرومانسية فى الأدب العربى. ولكننى لم أذكر عن هذه المدارس الأدبية المهمة فى هذا الفصل لأننى أقمت باباً آخر على حدة ، إنشاء الله سأقوم فيه ببحث عنها بكل التفاصيل.

لاتخلو أى منطقة من مناطق الدول العربية من تأثير هذا التيار الجديد باختلاف الدرجات والتفاصيل على قدر الثقافة. فنرى أن المملكة السعودية العربية أيضاً قد تأثرت بهذا التيار الرومانسى تأثراً كبيراً و أنتجت كمية كبيرة من الأدب الرومانسى، وتوجد فى أدبهم جميع الصفات الرومانسية التى كانت توجد فى الأدب العربى فى المناطق العربية الأخرى من النزعة الفردية والذاتية و الخلو بالنفس، والشعور بالوحدة ، والحزن وإلتماس ، إيناس تلك الوحدة عن طريق الشعر، و موسيقاه الحالمة الآتية من مصدرخفى.

ولقد كان ظهور هذا التيار فى قلب الجزيرة نتيجة لعوامل تشبه العوامل التى أدت إلى ظهوره فى العرب ، يتضح ذلك فيما يقول الدكتور بكرى شيخ أمين "حياة القلق و الإضطراب التى تسود العالم العربى عامة، وشعور الأدباء بتخلخل المجتمع وعجزهم عن تحقيق مأربهم و آمالهم و إصطدام المطامع العظيمة فى نفوسهم بالعقبات والسدود. وقد دفعهم هذا إلى أن يلتمسوا لهم مهرباً يفرون إليه.من واقعهم المرير، فلاذوا بالطبيعة يبثونها شكاتهم، ويتجاوبون وإياها تجاوباً روحياً حزيناً كما حلقوا فى سماء الخيال وهاموابأودية

الرؤى و الأحلام والأوهام. وسبحوابارواحهم فيما وراء الطبيعة" [٤٩]

وكان السبب الأخر هوالمزاج الإنطوائى الذى فرض على بعض الأدباء و الشعراء أن يعيشوا فى أبراجهم العاجية، وينطووا داخل نفوسهم، وكذلك إن لمدرسة الديوان وجماعة أبولووجماعة المهجريين أثرا كبيراً فى دفع الكثيرين إلى هذا التيار الجديد ، وكذلك الإعجاب بالأدب الرومانسى الغربى كان سبباً أساسيا من أسباب تطور هذه الحركة الرومانسية فى المملكة.

أذكر هنا بعض أسماء أشهر الشعراء السعوديين.

وهم محمد حسن عواد (١٩٠٢م) و محمد حسن فقى (١٩١٢م) و عبدالسلام هاشم رشيد (١٩٣٠م) وعبدالله الفيصل (١٩٣٠) محمد العامر الرميح (١٩٢٩م) وغيرهم من الشعراء الكثيرين الذين توجد فى اعمالهم الأدبية موجة رومانسية ، و تاثيرها على طبائعهم.

---

٤٩. الدكتور بكرى شيخ أمين ـ الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية ، بيروت ـ ط ١٩٨٦ ، ص ٣٨٦

الباب الثانى

ميزات الحركة الرومانسية العربية

الفصل الاول

الرمانسية فى أدب مدرسة الديوان

لاشك أن مدرسة الديوان لعبت دوراً مهما فى تطوير الحركة الرومانسية فى الأدب العربى الحديث و هى مدرسة تتألف من شكرى والعقاد والمازنى، و تسمى هذه المدرسة مدرسة الديوان نسبة إلى الكتاب النقدى الذى أصدره العقاد والمازنى عام ١٩٢١، فعكف هؤلاء الأدباء الثلاثة الكبار على دراسة الأدب الغربى وخاصة الإنجليزى و يمدون من طموحاتهم إلى أبعد من حدود الأدب الغربى ليلتقوا بجميع ألوان الإبداع الإنسانى فى الشرق والغرب لأن الأدب العربى السائد فى تلك المرحلة لم تشبع نهمهم العقلى و الوجدانى و لم يرض نوازعهم فالتفتوا إلى الآداب الغربية و خاصة على الإنجليزية و تأثروا بحركاتها و تياراتها الجديدة التى كانت سائدة فى ذلك الوقت فتمردوا على الحياة الأدبية الراكدة و أنكروا تلك التقاليد القديمة والأساليب البالية التى لم تكن صالحة أن تسايرمع تطورات العصر الحديث و حركاته الجديدة. فيقول الدكتور على عباس علوان. "إن جماعة الديوان .... شغلت نفسها بصراعات ومعارك عنيفة أثمرت كثيرا من الكلام و الدعاوى

النظرية وشيئا من المفاهيم الجديدة"[٥٠]

و إن أصحاب مدرسة الديوان كتبوا المقالات وقرضوا القصائد فى الموضوعات المختلفة ويقول الدكتور محمد أحمد العزب "وقد بدأ نتاج مدرسة الديوان بإخراج شكرى للجزء الأول من ديوانه بعنوان ضوء الفجر سنة ١٩٠٩" [٥١] وبعد ذلك تواترت دواوينه ودواوين العقاد والمازنى حتى وصلت إلى سبعة دواوين ومعظم هذه الدواوين تشتمل على قصائد فيها من التجاوب النفسى والعواطف الصادقة ، و التأملات العميقة و الإنطبعات الصوفية وأناشيد الحب والجمال ما جعلهم يدخلون فى ميدان الرومانسية ، فى الواقع كانت هذه المدرسة ثورة على الشعر القديم والحديث شكلا و مضمونا و لغة و يقول محمد أحمد العزب .

" وقد عملت مدرسة الديوان منذ نشوئها على التمرد فى
وجه القصيدة العربية التقليدية شكلا و مضمونا و بناء و لغة."[٥٢]

وفى سنة ١٩٢١م ، أخرج العقاد والمازنى كتابهما الديوان الذى هاجما فيه على شوقى و حافظ و المنفلوطى هجوماً عنيفاً ، و جسدا فيه خلاصة فلسفتهما الشعرية الثائرة على الشعر القديم و الحديث و اكتفى كل من المازنى و شكرى بهذه المشاركة الشعرية

---

٥٠. الدكتور على عباس علوان ص ٣٧٣

٥١. الدكتور محمد أحمد العزب ـ عن اللغة و الأدب و النقد ـ ط القاهرة ، ١٩٨٠ ص ١٢٩

٥٢. نفس المصدر ، ص ١٣٠

و انصرفا إلى إهتمامات أخرى ولكن العقاد واصل طريقه وظل يخرج الديوان بعد الديوان حتى توفى عام ١٩٦٤م.

ففى مجال (الشكل) ثاروا على نظام القصيدة الطويلة ذات النسق الموحد وكذلك ثاروا على نظام القافية الموحدة فنوعوا فيها على فترات متقاربة تتردد بين البيتين والأبيات القليلة.

و فى مجال المضمون تمردوا على محدودية الفضاء و دعوا إلى تحطيم السدود و تمردوا على محدودية الطموح والإنحصار فى أمور تافهة ، و دعوا إلى أن يحلق الشاعر فوق اليوم الذى يعيشه و إلى التغنى بالطبيعة ودعوا إلى الشعور بجوهر الأشياء ونقل هذا الشعور من نفس إلى نفس و تمردوا على بقاء الشعر قيمة لسانية وليس قيمة إنسانية.

و فى مجال البناء دعا رواد مدرسة الديوان إلى رفض التفكلب ونادوا بالوحدة العضوية و دعوا أن تكون التجربة الشعرية مكوناً من مكونات البناء العام للقصيدة المعاصرة.

و فى مجال اللغة تمرد رواد مدرسة الديوان على لغة الشعر أو القاموس الشعرى ، و دعوا إلى تحرير اللغة الشعرية من عبودية القوالب الجاهزة و إلى التعبير عن المضامين الجديدة بلغة قادرة على التحليل والتركيب.

وهذه الصفات الرومانسية توجد منذ البداية فى قصائد المازنى والعقاد وشكرى ، و يقول الدكتور ياسين الأيوبى :

" أخرج المازنى ديوانه وهو أيضاً كان ثورة على القديم و دعوة إلى التجديد وتمرداً

على القافية و تابعهما في إخراج ديوانه ، و قد نحا العقاد في ديوانه نحواً فكرياً فيه من التعنت مما أفقده الطابع المريح لمن يقرأه و يحب أن يتجاوب معه ، لقد سيطر على فنه الشعرى أسلوب منطقى عقلانى" ٥٣

ولكن النقاد و الأدباء الكبار يشكون في أصالة مدرسة الديوان و هم يقولون أن أصحابها يقلدون الأدباء الشعراء الغربيين يقول الدكتور ياسين الأيوبى :

"و تبين الدراسات أن عدداً كبيراً من قصائد المازنى والعقاد قد أقتس ونقل عن عدد آخر من قصائد رومانسية إنكلزية و أمريكية" ٥٤

ولكن العقاد يرفض هذا النقل والتقليد ويرى أنه لاشك في ذلك أن مدرسة الديوان قامت بدراسة الأدب الرومانسى الإنجليزى والأمريكى ومفاهيمه في نظرية الفن فقرؤا أعمال كارليل وجون سيتوارت ميل، وبايرون، و وردزروث وغيرهم و غيرهؤلاء من الأدباء والشعراء الآخرين ولكنهم لم يقلدوهم في إبداعاتهم بل تأثروا بأعمالهم و ظهر هذا التأثر تلقائيا بغير تعمد ، كما يقول العقاد :

"سرى من روح هؤلاء الشئ الكثير إلى الشعراء المصريين الذين نشأوا بعد شوقى و زملائه ، و لكنه سريان التشابه في المزاج ، و إتجاه العصر، و لم يكن تشابه التقليد والفناء أو سريان جاء من فهم رسالة الشعر و الأدب لا من تشابه فيما عدا ذلك من التفصيل. ٥٥

---

٥٣. الدكتور ياسين الأيوبى ـ مذاهب الأدب ، ط بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ٢٩٧

٥٤. نفس المصدر ص ٢٨٨

٥٥. العقاد ـ شعراء مصر و بيئاتهم في الجيل الماضى ، ط القاهرة ، ١٩٣٧ ص ٩٢ ـ ١٩١

ولكن الدراسات البسيطه تلغى هذا الدعوى وتثبت خلاف ما قاله العقاد لأن رفيقه فى العمل شكرى كشف مجموعة من سرقات المازنى و نقله التام من القصائد الأوروبية الرومانسية و غير الرومانسية و قد اعترف بذلك المازنى بعد فترة ، يقول الدكتور على عباس علوان :

"إن هذه الجماعة كانت مندفعة بالإعجاب الشديد نحو هذه النمادج و تقليدها ، ولكنها وقعت فى حالة تناقض حادة ، ذلك أن هذه الجماعة لم تكن تمتلك الأصالة العلية ، و الإقتدار الشعرى الهائل لإثبات شخصيتها المميزة فى إحداث الهزة العنيفة فى نظرية الشعر و العمل الفنى" [٥٦]

و إن أصحاب مدرسة الديوان لو لم يكونوا مبدعين و لكنهم على الأقل حاولوا نظريا التمرد على التقاليد القديمة و هاجموا الشعر القديم وأصحابه مهاجمة عنيفة حتى قيل إن كل ما بقى فى أذهان الناس لجماعة الديوان هذه الحملات العنيفة و يقول الدكتور على عباس علوان :

"و لا شك أن هذه الجماعة خاضت معارك أقطاب الكلاسية والكلاسية الجديدة ، إذ هاجم المازنى حافظ إبراهيم عام ١٩١٤م على صفحات جريدة عكاظ كما هاجم العقاد شوقى والرافعى وهاجم المازنى بعد ذلك كلا من المنفلوطى ، و زميله عبدالرحمن" [٥٧]

---

٥٦. الدكتور على عباس علوان ـ تطور الشعر العربى الحديث فى العراق ـ ط ١٩٧٥م ، ص ٣٧٥

٥٧. نفس المصدر ص ٣٧٦

يوجد تناقض و إنفصام عند شعراء مدرسة الديوان ما بين آرائها النظرية وتطبيقاتها العملية لأن الصفات والظواهرالتى إنتقدوا من أجلها المحافظين تتجلى تلك الصفات فى أعمالهم و إبتكاراتهم ، إلا أن شكرى كان أكثرهم إتزانا فى الرأى و أقلهم دعوى يقول الدكتور على عباس علوان :

"و لعل أفضل الجماعة عبدالرحمن شكرى ، من حيث قلة دعاواه فى التجديد، أو إثارة غبار المعارك ، و من حيث إتزانه فى أرائه بل لعله أعمقهم حسا، و أكثرهم تمثلا للنفس الرومانسية المرهفة الحساسة ، فضلاً عن ثقافته العالية التى جعلته دون جدال رأس جماعة الديوان وأستاذها المبتعد عن الشهرة إلا أنه لا يخرج عن الإطار العام الذى تلمسناه شعر زميليه من حيث التطبيق العملى. [٥٨]

هكذا نرى أن لمدرسة الديوان مساهمة كبيرة فى مجال تطوير الحركة الرومانسية العربية و إنها مثلت فى ذلك مصر أحسن تمثيل و سببت لثروة أدبية رومانسية كبيرة مع ما فيها من قلة الأصالة ، بالنظر إلى أدب المهجر.

---

٥٨. نفس المصدر ص ٣٨٠

الفصل الثانى

الرومانسية فى أدب جماعة أبولو

لا تكاد توجد حركة أو جماعة أدبية ظهرت فى العصر الحديث ، لم تتأثر بالحركة الرومانسية ، فكل من يقوم بدراسة أدب جماعة أبولو يجد أنها كانت متأثرة بها تأثراً كبيراً ، و ظهرت آثاره فى أعمال أصحابها الأدبية ، ففى مطلع العقد الثالث من هذا القرن ، تغير وجه الحياة سياسياً و أدبياً و إجتماعياً و فكرياً ، و اتسع التعليم و انتشرت الثقافة ، فكان طبيعياً أن ينهض الشعر و أن يكثر الشعراء و يكثر نتاج قرائحهم. ففى تلك البيئة المتغيرة ولدت "جماعة أبولو" فى ستمبر عام ١٩٣٢م ، بفضل جهود رائدها أحمد زكى أبوشادى المتواصلة ، وأسند رياستها إلى شوقى و لكنه توفى فى أكتوبر من نفس السنة فتسلم رياستها خليل مطران ، و أصدر مجلة باسمها ظلت تصدر حتى عام ١٩٣٥م ، و أوضح أبوشادى فى العدد الأول للمجلة فكرة الجماعة و غايتها و هى على هذا النحو :

١. السمو بالشعر العربى و توجيه جهود الشعراء توجيهاً شريفاً

٢. مناصرة النهضات الفنية فى عالم الشعر

٣. ترقية مستوى الشعراء أدبياً و إجتماعياً و مادياً و الدفاع عن كرامتهم

أما إسمها فهو مستعار من الميثونوجيا الإغريقية التى تزعم أن أبولو رب الشعر و الموسيقى. فهى جماعة كل الشعراء ، فلم يكن لها هدف شعرى و لا مذهب أدبى معين.

و قد استطاعت هذه المجلة أن تستقطب جهود جيل من الشعراء من مختلف جوانب العالم العربى، فكانت تحتضن أقلام شعراء مصر، وسوريا، والعراق، ولبنان والسودان و تونس وغيرها من البلاد العربية ، و هم الشعراء الذين صدحوا بقصيدهم بعد ثورة عام ١٩١٩م ، من مثل إبراهيم ناجى وعلى محمود طه ، و أخذت تشجع ناشئة الشعراء بنشر قصائدهم فى مجلتها مثل قصائد حسن الصيرفى و مصطفى السحرتى و محمود أبى الوفا وعبد اللطيف النشار والهمشرى و محمود حسن إسماعيل و مختار الوكيل وصالح جودت و عبدالحميد الديب ومحمد عبدالغنى حسن.

فى الواقع إن شعراء هذه الدورة أتيح لهم مالم يتح لمن قبلهم ، فقد إزداد إتصالهم بالآداب الغربية و بالإضافة إلى ذلك كان لديهم نموذجان أدبيان نموذج أصحاب النهضه و نموذج الجيل الجديد ، و جاء هم نموذج ثالث من الشعراء المهجريين ، و هو نموذج يستلهم المنزع الرومانسى الغربى لأن هؤلاء الشعراء المهجريين يكثر من ذكر الطبيعة و ذكر وطنهم الذى فقدوه من تأمل واسع فى الحياة و شرورها و آلامها العميقة.

وبالإضافة إلى ذلك أحدثت لبنان فى الأعوام الثلاثين الأخيرة نموذجين من الشعر أولهما المنزع الرومانسى لأن الشعراء فى لبنان كانوا يستمدون من الشعراء المهجريين والغربيين الرومانسيين على نحو ما نجد عند إلياس أبى شبكة و إنفعالاته أمام الحب و الطبيعة ، و النموذج الثانى هو المذهب الرمزى و هو مذهب يقوم على الغموض، فالأفكار فيه لا تؤدى أداءً واضحاً، بل يكتنفها غير قليل من الإبهام مع العناية بالكلمات الشعرية و هم يستوحون فى ذلك شعراء فرنسا و أدبائها، لأنهم هم الذين أوجدوا هذا المذهب فى الأدب.

وهذه النماذج إضافة إلى الإطلاع الواسع على الآداب الغربية قد أحدثت ضرباً من الإختلاط فى نفوس نفر من شعرائنا، فاذا هو تتوزعه الإتجاهات والنزعات المختلفة ، و شعره مجموعة من نماذج لا حصر لها و يقول على عباس علوان " و إذاكانت جماعة أبولو لا تمثل أغراضاً محدودة فى الشعر أو إتجاها فنياً متميزاً أو لونا معيناً من ألوان الأدب فان السمة العامة التى شاعت بين نتاج أعضائها كانت هى المسحة الرومانسية ولاسيما فى قصائد إبراهيم ناجى وعلى محمود طه و حسن كامل الصيرفى إضافة إلى مطران و أبى شادى" [٥٩] و كان أبوشادى خير من يمثل ذلك الإتجاه ، وكان شعره بدواوينه الكثيرة دائرة معارف شعرية ، تارة يسبح فى الحب والطبيعة و السماء و تارة ينزل إلى الأسواق والموالد ، وتارة يعتلى جبال الأولمب و يستوجى الميثولوجيا و الأساطير الإغريقية و تارة يتحدث فى تاريخنا وآثارنا القديمة إذا به يتحدث عن الباعة فى الأسواق، فهو لا يستقر فى موضوع ، ولا فى إتجاه بل يجرى فى كل الأنحاء يقول الدكتور على عباس علوان "ولعل أبا شادى خير من يمثل إتجاهات الجميعة و تناقضاتها، فلقد كان طبيعيا بكترولوجيا، و صحفياً متعدد الجوانب يصدر خمس مجلات فى وقت واحد ، لا يمت أية صحيفة منها للأخرى بصلة. الأولى (أبولو) للشعر ، و الثانية (الدجاج) جمعية الدواجن المصرية ، و الثالثة (مملكة النحل) لسان النحالين المصريين ، والرابعة (الإمام) التى أصدرها لرفع رأية الأدب الشعبى فى مصر، والخامسة (الصناعات الرزاعية) ." [٦٠]

---

٥٩. على عباس علوان ص ٣٨٢

٦٠. الدكتور على عباس علوان ـ تطور الشعر العربى الحديث فى العراق ـ ط ١٩٧٥ ، ص ٣٨٢

و من هناك يمكن لنا أن نقول إن شخصيته كانت مشتتة لا ضابط لها و لا نظام مع أنه كان مثقفاً ثقافة واسعة بالأداب الغربية و لكن النزعة الرومانسية تتغلب عليه ، و يقول عيسى يوسف بلاطه :

" فقد نجد تلك اللمسات الغنائية الشفافية و قد نجد تلك العواطف والمشاعر الذاتية ، و قد نجد ذلك الروح الرومانسى العام فى الصور، فى علاقات الشاعر بالطبيعة" [٦١]

يقول أبوشادى فى قصيدته (فى الطريق الحزين) :

ياطريقى الحزين ماعالم الناس بمثلى ، فليس مثلى بأنس

أنا بعض من الوجود الذى يأبى وجوداً على فساد ورجس

من أغانى الضياء من طهره السا حر من خمرة ليالى وأنسى

من نجوم السماء والأرض أحلا مى و من روحها المشعشع كأسى

من معان حفية نشوتى الكبرى ومن مقبلى البعيد وأمس

لو نقرأ هذه الأبيات نجد ذلك الروح الرومانسى الذى يوجد فى قصائد كبار الرومانسيين الفرنسيين وكذلك تلك النبرة المعبره عن أحزأن الشاعر و أعماقه مرتبطا بالوجود ، فى صور و لغة بسيطة تحمل شحنات العاطفة و فيض المشاعر التى تتميز بها الحركة الرومانسية.

مع أن جماعة أبولوكانت متوزعة المنازع والإتجاهات ولكن التزعة الرومانسية كانت صفة سائدة عند معظم شعراء ها ، يقول الدكتور شوقى ضيف "فإنه يلاحظ أن موجة

---

٦١. عيسى يوسف بلاطه ـ الرومانطيقية و معالمها فى الشعر العربى الحديث ـ ص ١٢٢

حادة من النزعة الرومانسية غلبت على شعرائنا حينئذ و لم يكن مبعثها إطلاعهم فقط على نماذج الجيل الجديد و شعراء المهاجر الأمريكى الشمالى و شعراء لبنان ، بل كان مبعثها الحقيقى أن مصر كانت تجتاز فى تلك الفترة التى ظهرت فيها " جماعة أبولو" حلقة سوداء من حلقاتها التاريخية فى العصر الحديث" ٦٢

وكان السبب فى ذلك أن الشعراء لم يكونوا يتمتعون بحرياتهم التعبيرية ، وكان الملك فؤاد و وزرائه مع الانجليز البغيض يحكمون على الشعب المصرى حكما إستبداديا لا يرعى فيه عهد و لا ذمة ، كممت فيه الأفواه و وضعت الأغلال على العقول و القلوب و كان من الطبيعى فى مثل هذه البيئة أن ينطوى الشعراء على أنفسهم و أن يجتروا الألم و الحزن و يعكسوهما.

على ما حولهم من الطبيعة ويتناجون بها فاذا هم (ومانسيون، وهى رومانسية تتضح أصداء ها فى أشعارهم و فى عنوانات دوا وينهم، فلأ بى شادى (الشعلة) و (فوق العباب) و لإبراهيم ناجى (من وراء الغمام) و لعلى محمود طه (الملاح التائه) ولحسن الصيرفى (الألحان الضائعة) و لمحمود أبى الوفا (الأنفاس المحترقة) و بغير ذلك من الشعراء الأخرين.

و قد ذكرت من قبل أن النزعة الرومانسية كانت توجد عند معظم الشعراء المنتسبين إلى جماعة أبولو، لايفسح المجال لى أن أذكر أمثلة لكل واحد منهم أحاول أن أذكر عن

---

٦٢. الدكتور شوقى ضيف ـ دراسات فى الشعر العربى المعاصر ـ ط دار المعارف،القاهرة ـ ص ٧٣

رومانسية شاعرين كبيرين علاوة على أبى شادى الذين لهما مكانة مرموقة فى مجال الرومانسية وهما إبراهيم ناجى وعلى محمود طه. فان إبراهيم ناجى كان مرتبطا بالمنزع الرومانسى الغربى كما كان الجديد مرتبطا به، فشعره شعر وجدانى رومانسى يصور نفسه وإنفعالاته وهى نفس ظامئة دائمة إلى الحب ، بل هى نفس ملتاعة دائما لأن قلبه كان يتدفق فى حبها، وكان يصيح صيحات حادة للهزيمة و هى هزيمة تلقاه فى كل جانب ، فى الحب و الصداقة و العلاقة الإجتماعية ، قلوننظر إلى أعماله الأدبية نجد أن هذه الصفات الرومانسية تتجلى فيها واضحاً جلياً.

وربما كان إبراهيم ناجى الشاعر الوحيد بين شعراء هذه الدورة التى إلتزم موقفاً بعينه ، وقد تكون معرفته الوثيقة بأداب الرومانسيين هى التى هيأت له ذلك ، فقد كان يعجب إعجاباً شديداً بهذا الإتجاه وظل ينميه، ومن أجل ذلك تتضح شخصيته فى شعره، بجميع ملامحها العاطفية وقسماتها الوجدانية، و شخصية شاعر مجروح يئن دائما ويشكو إفلات سعادته منه بصورة محزونة.

أما على محمود طه فقد اشتهر فى المجال الرومانسى شهرة واسعة بسبب معرفته بالآداب الغربية وتياراتها الجديدة خاصة التيار الرومانسى و لكنه لم يكن يتعمقها، إذكان حظه من معرفة اللغات الأجنبية محدوداً و على الرغم من ذلك إنه ترجم بعض القصائد الرومانسية الغربية و تأثر بهذا المنزع تأثراً كبيراً. ترك ثروة كبيرة فى الأدب الرومانسى.

الفصل الثالث

الرومانسية فى أدب المهجر

يعتبر أدب المهجر أساس الحركة الرومانسية العربية و منبعها و قد أثر على الأدباء و الكتاب فى المناطق العربية الأخرى ، و أدب المهجر العربى أدب نشأ فى أمريكا الشمالية و الجنوبية بفضل عدد كبير من الأدباء الكتاب و الشعراء اللبنانيين و السوريين الذين هاجروا إليها فى أواخر القرن التاسع عشر لأسباب سياسية و إقتصادية و إجتماعية و دينية إلى حد كبير و أقاموا فيها إقامة دائمة ، يقول الدكتور محمد أحمد العزب :

"منذ أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين نزح طائفة من الشباب اللبنانيين و السوريين تحت وطأة الإحساس بالكبت السياسى و الحاجة المادية ، إلى المهجر الأمريكى حيث إستقرت جماعة منهم فى المهجر الشمالى بينما إستقرت الجماعة الأخرى فى المهجر الجنوبى."[٦٣]

و يعبر الدكتور شوقى ضيف نفس الشئ بقوله :

---

٦٣. الدكتور محمد أحمد العزب ـ عن اللغة و الأدب و النقد ـ ط القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ١٣٥

" و قد خرجوا من ديارهم إلى أمريكا يبتغون معيشة كريمة ، قدر عليهم أخلاف الرزق، و تنجيهم من ظلم الترك و سياطهم و تتيح لهم حظوظاً من الحرية المسلوبة و ما زالوا يهاجرون من شاطئ بلادهم إلى شواطئ أمريكا و فى كل مكان يحلون فيه يجتمعون و يناظرون فيما بينهم فهم أبناء لسان واحد و ديار واحدة و هم يشعرون فى أعماقهم بأنهم أحفاد العرب الأمجاد. "٦٤

و إن المهجريين وجدوا فى وطنهم الجديد بيئة مختلفة و تجمعاً مختلفاً و تمتعوا بحرية تامة و تنفسوا هواء الحرية الحقيقية ، و البلاد كانت متموجة بالحركات و النشاطات و كذلك كانت مملوء ة بكل وسائل الراحة الممتعة و لكنهم لم ينسوا وطنهم الأصلى الذى هاجروا منه،و ثقافته،و أدبه بل حمل معهم ذكراه، يقول الدكتور محمد أحمد العزب :

" و حمل هؤلاء الشباب منذ البداية مل حقائبهم كل ذكريات أوطانهم العربية و لم يتخلوا للحظة واحدة عن الحلم بالعودة إلى تراب الأرض بكل ما يحمل هذا التراب من عطر التاريخ. و عمق الجذور و أصالة الإنتماء. "٦٥

و الحنين إلى الوطن و الشوق إلى العودة إليه قد مهدا الطريق إلى إنشاء أدب قيم و إيجاد بيئة عربية فى بلاد أجنبية بدأوا يشعرون كانهم يعيشون فى وطنهم العربى فى مثل هذه المنطقة النائية.

---

٦٤. دراسات فى الشعر العربى المعاصر ـ الدكتور شوقى ضيف ـ ط القاهرة ، ص ٢٤٥

٦٥. نفس المصدر ، و الصفحة

لأنهم أصدروا المجلات و الصحف ينشرون فيها مقالاتهم و قصائدهم و أنشأوا الندوات و الجاميع العلمية التى يجتمعون فى أوقات فراغهم و يتحدثون عن أمور وطنهم الأدبية و السياسية و اجتماعية و يعبرون عن ردود فعلهم بطرق مختلفة و هذه النشاطات و الكفاحات أثمرت بتاج أدبى قيم لعب دوراً بارزاً فى توجيه الأدب العربى إلى التجديد و تخليصه من التقاليد البالية و القيود القديمة و يقول الدكتور محمد أحمد العزب :

"وكان هذا الحلم الملح من وراء إقدامهم على محاولة خلق عالم عربى فى المهجر الأمريكى الشمالى منه فى الولايات المتحدة الأمريكية و الجنوبى و خاصة فى البرازيل . فاصدروا المجلات و الدواوين و أسسوا "الرابطة القلمية" فى الشمال عام ١٩٢٠م ، برياسة جبران خليل جبران كما أسسوا "العصبة الأندلسية" فى الجنوب عام ١٩٣٢م ، برياسة ميشال معلوف."[٦٦]

و استطاعوا أن يؤلفوا لأنفسهم أحياء فى مدن أمريكا المشهورة طبعوها بطوابع شرقية . ولم يلبثوا أن أصدروا صحفاً عربية هناك تتحدث بلغتهم عن شئونهم و شئون بلادهم الأصلية ؟ أذاعوا أشعاراً و منظومات و أقاصيص ، و بذلك عبروا عن مجالاتهم الفكرية و الوحدانية بلغتهم العربية التى لم ينسوها و لم يقطعوا صلتهم بها بل ظلوا يعتنقونها ، كأنها الكتاب المقدس الذى حملوه فى حقائهم.

وكان هؤلاء المهجريون ينشرون أعمالهم الأدبية فى جريدة (السائح) و كانت

---

٦٦. الدكتور محمد أحمد العزب ـ عن اللغة و الأدب و النقد ـ ط القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ١٣٥

الجريدة تحمل أصواتهم إلى العالم العربى وكان الناس فى البلاد العربية ينتظرون للعدد الجديد للجريدة و يشتاقون إليها و إنهم كانوا يصدرون منها عدداً ممتازاً فى كل سنة يحمل أروع ماقالوه ، فبسبب محاولتهم القيمة الجدية ظهرت فى عام ١٩٢١م (مجموعة الرابطة القلمية) التى يشتمل على قصائد الشعراء الرائعة و مقالاتهم القيمة . و ما زالت تحمل إبداعاتهم حتى عام١٩٣١م حيث تبدد رجالها واحداً بعد واحد بسبب الموت ، و كذلك "كان المهجريون فى جنوب أمريكا يجتمعون فى النوادى الحافلة فى دارهم و أصبحت (المجلة العصبة الأندلسية) مجال أعمالهم الأدبية و لكن المجلة توقفت عام ١٩٤١م عند ما أصدر رئيس جمهورية البرازيل أمراً بحظرأى نشاط صحفى بغير لغة البلاد ، ثم عادت إلى الظهور عام ١٩٤٧م ، على يد شفيق المعلوف ثم توقفت نهائيا عام١٩٥٤م ."[٦٧]

و إن حركة المهجر إنبثقت فى أمريكا فى الفترة التى ظهرت فيها مدرسة الديوان فى مصر وكانت لكلتى المدرستين مساهمة كبيرة فى تجديد الأدب العربى و تقصير الشكل و المضمون و اللغة و على الرغم من أن عدد الكتاب و الشعراء فى المهجر الشمالى كان قليلاً بالنسبة إلى عددهم فى المهجر الجنوبى ، كان أثر المهجر الشمالى فى تطوير الحركة الأدبية العربية المعاصرة أعمق من المهجر الجنوبى ، و هذا كما أعتقد بسبب أن المهجر الشمالى وجد أكثر حرية و أحسن بيئة و أفضل جواً بالإضافة إلى تكوين ثقافتهم القوية بالنظر إلى المهجريين الجنوبيين ، يقول الدكتور محمد أحمد العزب :

"أطلق (الشماليون) أجنحتهم الشابة فى قضاء الحرية الفنية فى آفاق الطبيعة و

---

٦٧. ملخص من نفس المصدر و الصفحة ١٣٦

الكون و الميتافيزيقا. و عادوا أحيانا كثيرة .... بينما ظل شعراء الجنوب يترددون على أنساق شوقى و أصحابه من مدرسة المحافظين ثم يعودون إلى ذواتهم فى طرائق التجديد و الإبتداع ، وهكذا ظلوا يتوافدون على الفعل الإبداعى من خلال المحافظة و التجديد و الإتباع و المغامرة."[٦٨]

---

٦٨. الدكتور محمد أحمد العزب- عن اللغة و الأدب و النقد- ط القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ١٣٦

خصائص أدب المهجرى

يتميز أدب المهجر بخصائص عديدة و توجد فيه جميع السمات التى تعتبر أهم عناصر الرومانسية و معظم هذه الخصائص و السمات فى الأدب المهجرى تتعلق بالشكل و المضمون ، و بدأت تظهر هذه الخصائص و الصفات فى الأدب المهجرى منذ الحرب العالمية الأولى ، لأنها كانت من إحدى المحركات التى بعثت الحياة الأدبية و الإجتماعية و المضمون ، و السياسية و العلمية على الأصعدة العالمية و خاصة فى الصعيد العربى . و يمكن إن نقول أن الحرب العالمية نقطة إنطلاق للأدب العربى "و ظهر إتجاهها (المهجرى الشمالى و الجنوبى) الفنى محدداً منذ الحرب العالمية الأولى."[٦٩]

خصائص الشكل :

و قد ثار الكتاب و الشعراء المهجريون على الأساليب القديمة شكلا و مضمونا و لغة سنذكر سمات كل منها على حده ، يقول الدكتور محمد أحمد العزب فى وصف التغيير الذى أحدثه المهجريون فى الشكل "تمرد شعراء المهجر على قيود القديم فى هيكل

---

٦٩. الدكتور محمد أحمد العزب ـ عن اللغة و الأدب و النقد ـ ط القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ١٣٧

القصيدة و موسيقاها و لغتها و شخصيتها التعبيرية و إن كان تمردهم النظرى فى نتاجهم النقدى قد فاق تمردهم الإبداعى فى نتاجهم الشعرى بما لا يقاس ... بمعنى أن جبران خليل جبران و ميخائيل نعيمه و أمين الريحانى، قد أحدثوا فى المعركة النقدية زلزالاً عنيفاً بما طالبوا به من تهديم حوائط الشكل هيكلا و موسيقى و لغة و تعبيراً و ذهبوا فى ذلك إلى أعمق أعماق الشطط."[٧٠]

و إنهم طالبوا بتغيير هيكل القصيدة و تحرروا فى توزيع التفعيلات مع خضوع الهيكل العام لنظام ثابت ، و لجأوا إلى شعر المقطع و المقطوعة و ضمنوا القصيدة أكثر من صوت و احد و كذلك ثاروا على العروض الشعرى ، يقول ميخائيل نعيمه " فلا الأوزان و لا القوافى من ضرورة الشعر ، كما أن المعابد و الطقوس ليست من ضرورة الصلاة و العبادة."[٧١]

فان ذلك يعد بشكل ما إستجابة لثورتهم الصارمة على تقليدية هذا النظام الذى ألهه جيل من وراء جيل ، وكذلك إنهم تمردوا على اللغة و جعلوها تابعة للناس ، حيث يقول ميخائيل نعيمه (فالإنسان هو الذى أوجد اللغة و لم توجد اللغة الانسان) [٧٢] و قد صاح جبران صيحته العاتية فى وجه اللغة التقليدية فزلزل بهذه الصيحة كثيراً من نواحى

---

٧٠. نفس المصدر و الصفحة

٧١. ميخائيل نعيمه ـ الغربال ـ ص ٩٥

٧٢. ميخائيل نعيمه ـ الغربال ـ ص ٧٦ ـ ٧٧

التقليد و الإتباع فى فهم اللغة و فى طبيعة ما ينبغى أن نسددها من دور توديه أداء معاصرا ينبض بدفء المعاناة و الصدق :(لكم لغتكم ولى لغتى ، لكم منها القواميس والمعجمات و المطولات. و لى منها ما غربلته الأذن و حفظته الذاكرة من كلام مألوف و مأنوس تتدولة ألسنة الناس فى أفراجهم و أحزانهم ، و لكم لغتكم و لى لغتى. لكم منها الرثاء و المديح و الفخر و التهنيئة و لى منها ما يتكبر عن رثاء من مات و هو فى الرحم. و يأبى مديح من يستوجب الإستهزاء و يأنف من تهنيئة من يستدعى الشفقة و يترفع عن هجو من يستحق الإعراض عنه و يستنكف من الفخر إذ ليس فى الانسان ما يفاخر به سوى إقراره بضعفه وجهله .... لكم لغتكم و لى لغتى ، لكم من لغتكم البديع و البيان و المنطق و لى من لغتى نظرة فى عين المغلوب و دمعة فى جفن المشتاق ، و إبتسامة على ثغر المؤمن .... لكم لغتكم و لى لغتى لكم أن تلتقطوا ما يتناثر خرقا من أثواب لغتكم و لى أن أمزق بيدى كل عتيق بال و أطرح على جانبى الطريق كل ما يعوق مسيرى نحو قمة الجبل ، لكم لغتكم و لى لغتى ، لكم لغتكم عجوزاً مقعدة و لى لغتى صبية غارقة فى بحر من أحلام شبابها .... أقول لكم : إن النظم و النثر عاطفة و فكر مازاد على ذلك فخيوط واهية و أسلاك متقطعة ... لكم لغتكم و لى لغتى "[٧٣]

فى كل جملة من جمل هذه الفقرة لجبران تترشح ثورة على التقاليد و الأشكال القديمة التى لا تلائم العصر الحديث و مزاجه و تطوراته و على اللغة و أساليبها ، و ثورة على العوائق القديمة ، و فى نفس الوقت هى دعوة إلى التخلص عن موضوعات الشعر القديمة

---

٧٣. بلاغة العرب فى القرن العشرين (جمع محى الدين رضا) ص ٨١ و ما بعدها

بمديحها و هجائها و فخرها و دعوة إلى منح الشاعر قيثارته ليغنينا أحلامه و ما يجرى فى خاطره ، و ما يعصف فى نفسه.

و يقول الدكتور محمد أحمد العزب (و لعل من أبرز ملامح الشكل فى القصيدة المهجرية نوعية من شعر المطولات ذات الطابع الملحمى : كالمواكب لجبران ، و على بساط الريح لفوزى المعلوف و الحكاية الأزلية لأبى ماضى ، و الطلاسم له أيضاً ، و الربيع الأخير للشاعر القروى ، و أحلام الراعى لإلياس فرحات .... و معلقة الأرز لنعمة قازان.)[٧٤]

و قصائد الشعر المهجرى تتميز بالوحدة العضوية التى تغتبر إحدى المكونات الأساسية لقيصدة الشعر المعاصر ، والشعراء المهجريون إستلهموا فى ذلك الأدب الغربى أكثر مما إستلهموا الأدب العربى ، و ألحت مدرسة الديوان إلحاحاً متواصلاً على هذه الوحدة العضوية ، و يقول الدكتور محمد أحمد العزب إشارة إلى هذه الوحدة العضوية (هذه هى أهم ملامح التجديد فى الشكل عند شعراء المهجر الشمالى و الجنوبى و هى ملامح تتفاوت فى درجة حلولها فى الواقع الشعرى عند شعراء هذه المدرسة و لكنها حقائق فنية تشكل عنصراً من أهم عناصر هذه الحركة الشعرية.)[٧٥]

---

٧٤. الدكتور محمد أحمد العزب ـ عن اللغة و الأدب و النقد ـ ط القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص

٧٥. نفس المصدر و ص ٩٤٠

خصائص المضمون :

أما فيما يتعلق بالخصائص فى مضمون الأدب المهجرى فهو يتميز بخصائص و ظواهر متعددة من أهمها : كما يقول الدكتور محمد أحمد العزب (الحنين إلى الوطن و الإحساس الدائم بالإغتراب الروحى و المادى ، و النزعة الإنسانية الشاملة و التطلع إلى عالم مجهول يستطيع الشاعر فيه أن يحقق آماله و مطامه و التغور فى الإحساس بالطبيعة الصامتة و الصائتة ، و القتال بالشعر عن قضايا الوطن و اللغة و التقاليد و الإقتدار الظاهر على الوصف و تصوير المرئيات و المحسوسات و الإيغال فى غنائية شفيفة عذبة و التطوح وراء الحرية إلى مدى شارف تخوم الحرية الدينية .. و تغليب جانب المعنى على جانب اللفظ ، و التجول فى أبهاء النفس الإنسانية بكل ما فيها من دروب و أدغال و النزوع إلى نوع من الغموض الفنى يحاذى غموض العالم الذاتى و الموضوعى الغارق فى غموض بلا حدود.

و ميخائيل نعيمة أيضا ثار فى كتابه "الغربال" على المحافظين و طالب بمقاييس جديدة للأدب العربى و هاجم على شعراء الصنعة و الزركشة و الرنين الموسيقى.

و ميخائيل نعيمة الذى يعد من كبار الشعراء و النقاد المهجريين ، قد تمرد على القيود القديمة و ثار على الشعراء المحافظين و هاجم على التقاليد البالية و دعا إلى الإهتمام بالمعنى أكثر من الإهتمام باللفظ ، فيلزم للشاعر أن يعبر فى شعره الخوالج النفسية من رجاء و يأس و فوز و فشل و إيمان و ألم ولذة و غير ذلك من إنفعالات و تأثرات عاطفية ، و هذه

كلها تعد من خصائص الرومانسية لأن الذاتية و الفردية التى تعد من أبرز الخصائص للرومانسية ، توجد فى الشعراء المهجريين بنسبة كبيرة و لأنهم أصروا على هذا الجانب إلحاحاً كبيراً و هم لا يهتمون باللفظ و الوزن بل يعتبرونها ثياباً خارجية على العقل و الروح أو بعبارة أخرى على الفكرة و العاطفة ، و أنقل بعض الأبيات لإيليا أبى ماضى التى تؤيد هذه الفكرة يقول فى ديوانه "الجداول"

لست منى إن حسبت الشـ عر ألفاظاً و وزناً

خالفت دربك دربى و انقضى ما كان منا

فانطلق عنى لئلا تقتنى هماً و حزناً

و اتخذ غيرى رفيقاً و سوى دنياى مغنى

و كان السبب فى تحررهم ، تثقفهم بالآداب الغربية فقد حذق معظمهم أكثر من لغة و اطلعوا على الآداب الغربية و كان موقفهم يشبه موقف الرومانسيين ، فكّوا شعرهم من قيود كثيرة فى الوزن و الصيغة ، و اتجهوا نحو الطبيعة بحقولها و غاباتها و حياتها الريفية.

و يقول الدكتور شوقى ضيف:

"و من هنا كان أدباء العصر الإبتداعى فرديين بكل ما فى الفردية من شارات و سمات ، فهم لا يعنون بالخارج ، إنما يعنون بأنفسهم ، و المجتمع ليس له قيمة إلاّ بمقدار إحساس الفردية ، فالفرد أولاً ثم الجماعة و ليست قصيدة الشاعر و لا عمل الأديب

إلاّ تجربة ذاتية خاصة به ."[٧٦]

و هذه الصفات التى ذكرناها آنفاً توجد جميعها فى أدب المهجر بكل قوة ، و يقول الدكتور شوقى ضيف إشارة إلى هذه الصفات :

"و نستطيع أن نجد كل ذلك مطبوعاً فى شعراء المهاجر الأمريكى، فأصحابه ثائرون على الأوضاع القديمة فى شعرنا ، ثائرون على ألفاظه و صوره و أوزانه ، وثائرون على موضوعاته من مديح و غير مديح ، و هم مشغوفون بالطبيعة ، و هم ذاتيون و فرديون أخلصوا لمشاعرهم ، واستمعوا لوساوس نفوسهم ، و صاغوا ذلك كله شعراً عذباً."[٧٧]

و كثير من المهجريين هاجموا على الحياة المدنية و تمودوا على حياة الآلة و دعوا إلى حياة الغاب و الطبيعة ، حياة الفطرة و البساطة ،فلو نرى إلى قصائدهم و خاصة قصائد المهجريين الشماليين على سبيل المثال قصائد جبران و أصحابه من الرابطة القلمية لنجد مصداق ما قلنا عن التجديد و التعلق بالطبيعة ، و يمكن لنا أن نقول إنهم كانوا مجددين بمعنى واسع ، مجديين فى أساليبهم و لغتهم و فى الموضوعات التى يطرقونها و فى الشكل الخارجى بما أنهم ينوعون أوزان القصيدة الواحدة وقوا فيها ...

إن التعبير الفنى لايراد لذاته و إنما يراد بما يحمل من معان و أفكار و المعنى هو كل

---

٧٦. الدكتور شوقى ضيف ـ دراسات فى الشعر العربى المعاصر ـ ط دار المعارف ، القاهرة ـ ص ٢٤٩

٧٧. نفس المصدرو الصفحة

شئ فى الأدب ، و لازم للشاعر أن يطلق عنان شاعريته المبدعة تعبر عن مكنون نفسه فى أبسط الألفاظ و الأساليب ، و بهذه الخصائص المختلفة كان لأدب المهجريين فى تاريخ أدبنا المعاصرأفق مستقل لا يرتبط بأدبنا القديم بكثير ، و ذلك بسبب ثقافتهم الواسعة بالآداب الغربية.

و لعل أهم صفات المهجريين الرومانسية هى صفة الحنين إلى وطنهم ، فهم يتحرقون إليه شوقاً ، لأنهم هاجروا فى طلب المعيشة و الحياة الكريمة و حققوها أكثر مما كانوا يأملون ، و لكنهم فقدوا قلوبهم وراء هم ، فأخذ هم إحساس بالوحشة و الغربة فيرون أنفسهم أسيرها فيشتد تعلقهم به و حنينهم إليه . و هذا الحنين أهم عنصر يطبع شعر المهاجر الأمريكى بطابعه ، و ليس هناك حادث يحدث فى بلدهم أو ملمة تلم به إلاّ و يهتزون بها و يصيحون مع المحبة و اللوعة الشديدة .

يقول أبو الفضل الوليد :

فديتك يا أرض الشام فمنك لى ثراء على فقر و شكر بلا خمر

متى أطأ التراب الذى هو عنبر و أملأ من أرواح تلك الربا صورى[٧٨]

و كذلك يقول نعمة الحاج :

تذكرت أهلى فى النوى و بلادها و قد طال شوقى للحمى و بعاديا

تذكرت هاتيك الربوع و أهلها و يا حبذا تلك الربوع الزواهيا[٧٩]

---

٧٨. ديوانه " أغاريدفى عواصف" ص ٧٠

٧٩. ديوانه ص ١٧٧

و هذا التعلق الشديد بالوطن أتاح لهؤلاء المهاجرين أن يحيوا حياة عربية وسط ما تقع عليه أعينهم من حياة حديثة و مدنية جديدة و لم يوغل شاعر في هذه النزعة إيغال رشيد أيوب فقد أكثر من الحنين إلى وطنه و من بديع قوله تحت عنوان "بلادى" :

خلقت و لكن كى أموت بها حباً لذاك ترانى مستهاماً بها صباً

و ما أنا ممن إن ترامت به النوى تروعه الدنيا و لو ملئت رعبا

يكثر رشيد فى أشعاره من ذكر الغدران و الينابيع الجارية فى وطنه (لبنان)

وكذلك إلياس فرحات يصور فى شعره ملاعبه الفاتنه بين الطفولة والشباب وهو يقول عن "الكسارة" مسقط رأسه.

ترجعنى الذكرى إلى الكسارة إلى مقر الحب و الطهارة

إلى إجتماعى ببنات الحارة تلعب طوراًبالحصى وتارة

وهو أيضاً يتحدث عن عبث الصبا و الطفولة وكذلك يوجد فى شعره الحنين إلى وطنه فى شوق ولهفة. ونفس النزعات والعواطف توجد فى قصائد رشيد أيوب، وله قصيدة عنوانها "الحنين إلى الصنيين" يصور فيها جمال وطنه وهو يحلم به فى نومه وهو يقول:

أفيقى كفاك منام بدالفجر كم تهجعين

وقامت لتنعى الظلام طيور ألا تسمعين

وكذلك نسيت عريضه تغنى أغنية مملؤة بالحنين إلى وطنه و الشوق إليه وكان يحلم وطنه ويصور تلك الأحلام فى قصائده. وهو يقول فى قصيدته عنوانها "أم الحجار السود"

رفعت لطرفك من مكان

تختال بين حدائق وعراص

أعرفت يا قلبى عروس العاصى

تفيض نفس نسيب عريضة بالتعلق الشديد بالوطن و بالحنين إليه فى هذه الأبيات ، و فى معظم الأحيان إنه يرتجف عندما يذكر بلده و حجارتها السود و نهرها، وكان يتمنى أن يعود إلى تلك الديار ومعاهدها التى حل بها تمائمه.

وكذلك إيليا أبوماضى لم يكن أقل تعلقاً وشغفاً بوطنه من نسيب عريضة. كلما كان يذكره تنساب فى نفسه ينابيع القرح بذكراه و هو يقول فى قصيدة بعنوان (لبنان).

إثنان أعيا الدهر أن يبليهمالبنان والأمل الذى لذويه

نشتاقه و الصيف فوق هضابه ونحبه والثلج فى واديه

وهكذا نرى هؤلاء المهاجرين جميعاً فارقوا وطنهم، ولكنه كان فراق الجسم أما الروح فظلت عالقة به تطوف بمعاهده و ترفرف ببساتينه و ترابه و صخوره. وهذا الحنين إلى الوطن هو المفتاح الدقيق لفهم شعرالمهاجر الأمريكى.

وكذلك الدعوة إلى الطبيعة عنصر أساسى من عناصر الرومانسية ، و هى توجد فى أدب المهجريين بقدر وافر لأن الحياة التى إنتقلوا إليها كانت حياة مادية و آلية و صناعية .

وهذه الحياة كانت تضعف فرد يتهم ، فتمردوا على تلك الحياة ، يعافونها و يزدرونها، ويحاولون أن يفروا منها إلى حياة الطبيعة والغاب حيث كانت المعيشة بسيطة و

الجمال ساذجاً.

لونتابع قصيدة جبران (المواكب) نجد كيف هو صور تلك الثنائية التى صاغها الإنسان لنفسه و ضل الإنسان قدمه فى متاهات تلك الثنائية ولم يتجه إلى الطبيعة التى يجد الإنسان فيها حياة نقية كاملة لا تكون سيادة و لا عبودية ، و لا خير و لا شر، و لا حزن و لا سرور و لا إيمان و لا كفر.

يقول جبران فى مطلع مواكبه:

الخير فى الناس مصنوع إذا جبروا والشر فى الناس لايفنى و إن قبروا
و أكثرالناس آلات تحركها أصابع الدهر يوماً ثم تنكسر
فلا تقولن هذا عالم علم ولا تقولن ذاك السيد الوقر
فأفضل الناس قطعان يسير بها صوت الرعاة و من لم يمش يندثر
ليس فى الغابات راع لا و لا فيها القطيع [٨٠]

ويقول الدكتور شوقى ضيف تعليقا على هذه القصيدة لجبران

"ويظل فى هذا اللحن ، فالحياة فيها الرياء والذل والغابات ليس فيها رياء و لا ذل ، و الحياة فيها الدين و الكفر و ليس فى الغابات دين و لا كفر والحياة فيها العدل و الظلم وليس فى الغابات عدل و لا عقاب ، و الحياة فيها القوة و الضعف و ليس فى الغابات

---

٨٠. جبران خليل جبران ـ المواكب ـ ص ٧٨

قوى و لا ضعيف" [٨١]

كل بيت من أبيات هذه القصيدة ثورة على حياة المدينة ، و دعوة إلى حب الطبيعة و هى دعوة واسعة يدعو فيها جبران مواكب الإنسانية جميعاً إلى عالم الغاب. ومثل هذه الدعوة إلى الطبيعة توجد عند الشعراء الغربيين الرومانسيين ، و لا تزال توجد إلى عصرنا، و لهذا يظن بعض الناس أن جبران تأثر فى ذلك بالرومانسيين الغربيين فلو نتتبع قصيدة جبران نجد أن الغاب الذى ذكره جبران مراراً هو(لبنان) وطنه ، ذلك الفردوس الذى فقده.

و لم يكن جبران وحيداً فى هذا المجال الذى تغنى مثل هذه الأغنية بل عند معظم الشعراء والأدباء المهجريين يوجد هذا النوع من العاطفة الرومانسية. فيقول نسيب عريضه:

يا نفس رحماك أين تمضى فما أمامى سوى قبور
فد سامك العقل سوم علج مالا تطيقين من أمور
فلنترك العقل حيث يبغى فليس للعقل من شعور [٨٢]

ففى هذه الأبيات يتجلى أن لنسيب عريضة الدنيا كلها قبور لذلك هو يميل إلى الغاب الذى ليست فيه قبور و لا أنام و لا ناس و لا زحام ، قلونتصفح قصائد الغاب للشعراء المهجريين نجد أن جميعها رمز حب يتدفق.

للوطن المفقود الذى خفى عن أنظارهم، و لا تزال قلوبهم تصيح نشوة به ، و فى

---

٨١. الدكتور شوقى ضيف ـ دراسات فى الشعر العربى المعاصر ـ ص

٨٢. نسيب عريضه ديوانه ص ٥٦

غمرة هذه النشوة ينشدون تلك الألحان العذبة ، يتغنون فيها بالغاب و لعل قصيدة "الغابة المفقودة" لإيليا أبى ماضى أوضح دليل على ما نقول وهو يقول :

يا لهفة النفس على غابة كنت و هنداً نلتقى فيها

أنا كما شاء الهوى و الصبا و هى كما شاء ت أمانيها

تكاد من لطف معانيها يشربها خاطر رائيها [٨٣]

وكل من يقرأ هذه الأبيات يجد أن تلك الغابة المفقودة التى يصف إيليا أبى ماضى هى لبنان. بحباله و أوديته وفاكهته الشهيه و أضوائه و أكاليل زهوره.

وهذا النوع من العاطفة الرومانسية عند معظم المهجريين ، وهذا التيار الأدبى تسرب إلى الأدب العربى من خلال الأدب الغربى يقول الدكتور شوقى ضيف :

"ومعنى ذلك أن الطبيعة فى شعر المهاجر الأمريكى ليست أثراً غريباً كما قد يتبادر إلى الذهن ، دخل إلى شعرهم عن طريق الآداب الأوربية و الأمريكية" [٨٤]

والصفة الأخرى للعاطفة الرومانسية التى توجد فى المهجريين هى الشعور بالألم و الحزن ، فقلما نقرأ لشاعر عربى مهجرى حتى نشعر أساً لاذعاً ويأساً قاتلاً. يقول فوزى المعلوف :

---

٨٣. الخمائل - إيليا أبى ماضى - ص ٨٨

٨٤. الدكتور شوقى ضيف - دراسات فى الشعر العربى المعاصر - ص

ألف اليأس قلبه ، فهو واليأ س يحاكى بثينة وجميلا

و إذا اليأس صدّ عنه قليلا راح يبكى على نواه طويلا

و إذا ما النسيم مرّ عليه فعليل أتى يعود عليلا

وهذه العواطف والمشاعر للحزن والألم والبؤس والشقاء والحرمان وعند البعض التشاؤم توجد عند معظم المهجريين لا مجال لذكر كل واحد منهم مستقلا لذلك أكتفى بذكر هذا القدر و يمكن أن نقيس على ذلك الأخرين منهم.

الباب الثالث

مساهمة جبران خليل جبران
في الحركة الرومانسية

الفصل الأول

حياته

هو جبران بن خليل جبران بن ميخائيل بن سعد، نزح جده من دمشق إلى بعلبك ومنها إلى بشعلا ومنها نزح يوسف مع أخويه موسى و ميخائيل إلى بشرّى.

"ولد جبران فى قرية لبنانية قرب نبع قاديشا هى بشرى عام ١٨٨٣م فى أسرة فقيرة وبيئة متأخرة و مجتمع متخلف، وهاجر مع أمه وأخيه الأكبر بطرس وأختيه ماريانا و سلطانه عام ١٨٩٥م إلى بوسطن فى الولايات المتحده الأمريكية، ونزل حى الصينيين الفقير، وهو فى سن الثانية عشرة و يكمل الابتدائية. فارسله أخوه بطرس رب العائلة الصغير إلى المدرسة لتعلم اللغة الإنكليزية ثم اعاده بعد ذلك إلى لبنان ليدرس العربية، فدرسها فى مدرسة الحكمة مدة أربع سنوات. ثم عاد إلى بوسطن ليرى أن داء السل قد فشأ فى بيت العائلة وحصد أخته الصغيرة سلطانه فى غيبته وبعد عام واحد إنتزع من ذراعيه أمه ثم اخاه بطرس، و بقيت له أخته ماريانا تشتغل بالإبرة و توفر له القوت. [٨٥]

وإذا ألقينا نظرة عامة على حياته الأدبية رأيناها سلسلة واجدة مؤلفة من بضع حلقات

---

٨٥. أحمد قبش ـ تاريخ الشعر العربى الحديث ـ ط بيروت ، ص ٢٩٥

متواصلة ، وسنقف قليلا على كل من هذه الحلقات.

الحلقة الاولى:

" الحلقة الاولى من حياته تشمل الفتره منذ ترك وطنه لبنان إلى أميريكا، وكان عمره فيما يقاوب الثانية عشرة من عمره إلى الفترة التى إستقرفيها فى نيويورك عام ١٩١٢م وهو فى التاسعة والعشرين من عمره كرسام محترف. وهى تنطوى على ١٧ سنة تقلبت عليه فيها أحداث مختلفة". [٨٦]

" فى هذه الفترة كان أول مقرله فى أمريكا فى مدينة بوسطن حيث أقام سنتين مع والدته و إخوته أخذ فيها يتعلم اللغة الانكليزية ثم بعثه ذووه إلى بيروت فبقى فيها خمس سنوات طالبا فى أحد معاهدها ، عاد بعدها إلى بوسطن.

و لكن يد الدهر كانت تعمل عملها فنزعت منه شقيقته ثم أخيه و أمه فمنذ مرحلة مبكرة واجه جبران معاناة شديدة وألما نفسا وضيقا ماديا.

"وبقى على هذه الحال بضع سنوات. و فى العشرين بدأ جبران فى الإنشاء و الرسم، و فى هذه الفترة من الزمن تعرف على سيدة أمريكية إسمها "مارى هاسكل' فى معرض من معارض رسومه ففيرت مجرى حياته بعطفها عليه وعنايتها به فأعجبت هذه السيدة بموهبته الفائقه و كفاءته النادرة فأرسلته على نفقتها إلى باريس ليتقن هذا الفن. أقام فى باريس ثلاث

---

٨٦. أنيس المقدسى ـ الفنون الأدبية و أعلامها فى النهضة الأدبية ـ ط دار المعلمين ، بيروت ، ١٩٨٤ ص ٣٢٤

سنوات ثم عاد إلى بوسطن و من بوسطن إلى نيويورك حيث أنشأ محترفا للتصوير اليدوى.

كانت هذه السنوات السبع عشرة التى جعلناها الحلقة الأولى من حياته مليئة بالأشواك القلبية والهموم المادية والأحزان النفسية وأولها فشله فى حب أول فتاة ملأت قلبه، ثم مرارة نفسه لفقد ذوية. وملازمة الفقر و العناء له ، فكان طبيعيا أن يخرج من قلمه كتب تمثل الحياة الكئيبة المليئة بالأحزان و الآلام ، أمثال "عرائس المروج" و "الأرواح المتمردة" و "الأجنحة المتكسرة" و "دمعة و إبتسامة" كلها تنم على شقاءٍ نفسى و تبرم من قسوة العالم و نقمة على ذوى السلطة ، مع شعور داخلى بضعفه عن المقاومة" و عواطف رومانسية خالصة."[٨٧]

الحلقة الثانية.

وهى تمتد إلى السنة ١٩٢٠م .ثمانى سنوات خرج فيها من هوة الحاجة و بدأ يشعر بقوة نفسه إزاء الحياة. وقد أثر كتاب نيتشه "هكذا تكلم ذراذهت" تأثيراً فى نفسه حتى ملأه بروح الإعتداد بالنفس ، و مال جبران إلى التهكم بالناس والعبث بتقاليدهم و عاداتهم و شرائعهم المعروفة لديهم. فصارهمه أن يكون حفاراً لقبورهم ، هذا ما لما ألقوه فى حياتهم.

و ذلك مافعله جبران فى هذا الطور من حياته، فاخرج للناس "العواصف" و "المواكب" فصول و مقالات تمكس آراء ه فى الحياة والناس. وأما العواصف كتاب يضم عدة فصول ومقالات وهو آخر ما نشره بالعربية، وقد ظهر بعده عام ١٩٢٣م كتاب آخر هو

---

٨٧. نفس المصدر و الصفحة

"البدائع والطرائف" و لكنه لم ينشره بنفسه بل نشره آخرون فيما بعده.

الحلقة الثالثة:

وهى الحلقة الاخيرة من حياته ، وهى فترة أدبه الأنكليزى، و تنتهى بإنتهاء حياته سنة ١٩٣١. و فى هذه الحقبة أصبح جبران ميسور الحال ذائع الصيت، يتذوق لذة اليسر و الشهوة. و من إعتداد بالنفس يدفعه إلى التهكم بهم، فأصبح متواضعاً لايرى الناس دونه، ومن يقرأ مقاله "وعظتنى نفسى" يتضح له هذا التغيرالداخلى فيه، وهكذا نراه فى السنوات العشرة الأخيرة من حياته منصرفا إلى التفنى بالحكمة الأزلية وتمجيد الحياة الإنسانية الصافية . فى هذا الجوالروحى ظهرت له الكتب مثل النبى (The Prophet) عام ١٩٢٣م ، و يسوع بن الإنسان عام ١٩٢٨م ، ورمل وزيد عام ١٩٢٦م ، و آلهه الارض عام ١٩٣١ م و غيرها.

أسلوب جبران خليل جبران

كل من يقوم بدراسة كتابات جبران خليل جبران يدرك تلك الميزات التى تميزه عن من سواه ، لم يكن جبران خليل جبران يجرى على طريقة واحدة فى الكتابة ، فهو حيناً يكتب خيالاً عاطفياً مجرداً و حيناً أحاسيس واقعة عميقة ، و طوراً بأسلوب التعنيف القاسى، و تارة يكتب شعراً فلسفياً تأملياً ، و تارة نثراً شعرياً موسيقياً غير أن كل هذه الأساليب و الطرق التعبيرية كانت تفيض من شخصية متميزة فى تكفيرها و خيالها و رحها ، و بيانها ، و تجرى بألفاظ شفافة عميقة التأثير ، سواء أكان ما يكتبه نثراً أم شعراً. سواء أكان أقصوصة أم مثلا أو حمكة أو خيالاً أو تأملات فى الحياة و الطبيعة و فى الكون و ما وراء الكون. ولا يكن لى إستقصاء جميع هذه الميزات و الخصائص التى تميز بها جبران لأنها كثيرة لم يكن تحديدها فى عدة صفحات ، لذلك قسمنا هذه الميزات على ثلاثة أنواع على سبيل الحصر ، و هى بعد الخيال وروعة الإيقاع و عنف العاطفة سنلقى نظرة عابرة على كل منها .

١ . **بعد الخيال** : . كما أعتقد ان الفرق بين الأدب الرائع و الأدب العادى هو قوة الإبتداع التخيلى ، و أهم عناصر هذا الإبتداع ثلاثة : التصميم الموضوعى و التصوير البيانى و التوسع النظرى.

و يراد بالتصميم الموضوعى إبتداع فكرة تدور عليها القطعة الأدبية و يوجد ذلك فى معظم كتاباته . لو نأخذ مثلا مقاله (رماد الأجيال و النار الخالدة) يقول فيه جبران أن الأجيال تمر و لكن أعمال الإنسان و لا أحلامه لا تفنى و لا تضعف عواطفه إذ أن هذه الأحلام و العواطف تبقى ببقاء الروح الكلى الخالد.

و كذلك فى قصة (وردة الهانى) يحاول أن يثبت أن كل ما فى الأرض يحيا و يعيش بناموس طبيعته و من طبيعة ناموسة يستمد مجد الحرية و أفراحها . أما الأنسان فهو محروم من هذه النعمة لأنه وضع لنفسه شريعة عالمية محدودة و سن لجسده و نفسه قانوناً واحداً قاسياً و أقاموا لميولهم و عواطفهم سجنا ضيقاً مخيفاً.

و فى مقاله (مناجاة أرواح) يقابل بين جمال الطبيعة فى لبنان و فساد الحياة فى المدن الأمريكية ، فنراه يصف الحياة الجبلية اللبنانية مساءً و صباحاً بقوله :

"قد رقد سكان القرى فى أكواخهم القائمة بين أشجار الجوز و الصفصاف .... وقد فاحت روائح النرجس و الزنبق و عانقت عطر الياسمين ثم تمازجت بأنفاس الأرض الطيبة و مرت مع تموجات النسيم .. فملأت النفس إنعطافاً و منحتها حنيناً إلى الطيران .... ها قد جاء ت الصباح فاستفاقت القرى المتكئة بهدوءٍ و سكينة على كتفى الوادى و ترنمت أجراس الكنائس و ملأت الأثير نداءً مستحباً معلنة بدء صلاة الصبح ، فارجعت الكهوف صدى رننها كأن الطبيعة بأسرها قامت مصلية."[٨٨]

---

٨٨. جبران خليل جبران ـ المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران جمعها ميخائيل نعيمه ـ ص ٣٢٦-٣٢٧

أما مدينة نيويورك فينظر إليها نظرة سوداء إذ يقول واصفاً طلوع الصباح فيها : "قد جاء الصباح و انبسطت فوق المنازل المكردسة أكف النهار الثقيلة ، فازيحت الستائر عن النوافذ و إنفتحت مصاريع الأبواب فبانت الوجوه الكالحة و العيون المعروكة و ذهب التعساء إلى المعامل ، و داخل أجسادهم يقطن الموت بجوار الحياة ، و على ملامحهم المنقبصة قد بان ظل القنوط و الخوف ، كأنهم منقادون قهراً إلى عراك هائل مهلك" [٨٩]

قابل جبران بين الحياة القروية الطبيعية وحياة المدن المزدحمة، لويتابع أحد هذه الفقرة يلمح مدى رومانسية جبران فيها، كيف يصور الحياة الطبيعية والحياة المصطنعة بطريقة إبداعية تتقطرمنها العاطفة الرومانسية واضحا جليا ، لو ننظر إلى كتبه نجد هذا الإبتداع التخيلى للموضوع و طريقة الإخراج ظاهراً للعيان ، ففى كتابه "النبى" يظهر هذا الإبداع الموضوعى أكثر وضوحاً و أقوى تعبيراً.

و هذا الإبداع الموضوعى يتجلى بنفس القوة فى كتابه (يسوع ابن الانسان) فقد جعل فى هذا الكتاب معاصرى المسيح يتحدثون عنه ، كل حسب منازعه ومداركه. ومن أحاديثهم المختلفة تبرز صورة يسوع كما يتخيلها جبران. وكأنما أوصافهم قصائد جميلة يقف القارئ لديها مدهوشاً أمام عمق الخيال الذى يظهر فيها و فى الأسلوب الذى إخترعه الكاتب. ويمكن أن يقال مثل ذلك فى معظم ما صنفه جبران.

٢. التصوير البيانى:. كما أن بعد الخيال يظهر فى إختيار الموضوع وطريقة

---

٨٩. نفس المصدر ص ٣٢٨

إخراجه كذلك تسود فى كتابته روعة التصوير البيانى. ولتصوير جبران صبغة خاصة لا يدرك الباحث إلا أن يراها. فهو تصوير فنى شعرى يتناول المعانى وظلالها ، والواقع أن نثر جبران من طراز الشعر يكثر فيه ما يستجيب فى الشعر من مجاز رائع. فاذا تكلم مثلا عن حرية الفكر قال: "كبل يدى ورجلى بالقيود ، و أنزل بى إلى ظلمة السجون، فانك لاتقوى على أسر فكرتى، لأنها كالسائر فى فضاء لاحدله ولا مدى" ٩٠

وكذلك يمكن لنا أن ندرك قوة تصويره البيانى فى مقاله "مساء العيد" تترای له فيه لمخيلته صورة المسيح مساء العيد فيقول "أفكر بالشعلة النارية التى أوقدها الروح العلى فى قرية حقيرة فطافت مرفرفة فوق رؤوس العصور مخترقة مدنية بعد مدنية" ٩١

وكذلك يصور نفسه بلسان الشاعر تصويراً رائعاً بديعاً فيقول : "أنا غريب فى هذا العالم أسير فى شوارع المدينة فيتبعنى الفتيان صارخين هو ذا الأعمى فلنعطه عكازة يتوكأ عليها، فأهرب منهم مسرعاً. ثم ألتقى بسرب من الصبايا فيتثبثن بأذيالى قائلات هو أطرش كالصخر فلنملأ أذنيه بأنغام الصبابة والغزل، فاتركهن راكضاً ، ثم ألتقى بجماعة من الكهول فيقفون حولى قائلين هو أخرس كالقبر فتعالوا نقوم إعوجاج لسانه ، فأغادرهم خائفاً. ثم ألتقى برهط من الشيوخ فيؤمئون نحوى باصابع مرتعشة قائلين هو مجنون أضاع صوابه فى مسارح الجن والفيلان"

---

٩٠. أنيس المقدسى ـ الفنون الأدبية و أعلامها ـ ط بيروت لا توجد سنة الطبع ، ص ٣٢٩

٩١. جبران خليل جبران ـ" المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران"ـ جمعها ميخائيل نعيمه ص ٤٢٢

الروعة الموسيقية :. الروعة الموسيقية عامة فى كلامه بدرجات مختلفة ، إنها تشتد و تضعف بالنسبة إلى موضوع الكلام أوحالة المتكلم، فاذا كان موضوعه مما يتسع لتدفق العواطف ككثير من مقالاته و فصوله، أويكون هو فى حالة تأثر و إنفعال كاكثر حالاته، نجد أفكاره تتواثب منه فى مقاطع موسيقية ترتاح إليها النفس ليس معنى ذلك أن عباراته تكون موزونة أو مسجعة بل تكون موافقة لموسيقى أفكاره ففى مقاله "مساء العيد" مثلا يصف رب العيد (يسوع) بقوله: "قلت ومن أنت؟ قال و فى صوته هدير مياه غزيرة، أنا الثورة التى تقيم ما أقعدته الأمم. أنا العاصفة التى تقتلع الأنصاب التى أنبتتها الأجيال. أناالذى جاء ليلقى فى الأرض سيفا لاسلاماً " [٩٢] فهذا الكلام غير موزون ولكنه يهز مشاعر من يقرأه لأنه يعبر عن أفكار تسودها الموسيقى الجميلة.

و كذلك نجد نفس الروعة الموسيقية و بنفس القوة .

فى مقاله عن لبنان ، يقول: "لكم لبنانكم ولى لبنانى ..... لبنانكم صراع بين رجل جاء من المغرب و رجل جاء من الجنوب. أما لبنانى فصلاة مجنحة ترفرف صباحاً عندما يقود الرعاة قطعانهم إلى المروج؟ وتتصاعد عندما يعود الفلاحون من الحقول والكروم" [٩٣] ويمكن أن نلمس مثل هذه الروعة الموسيقية فى مقاله "أيتها الأرض" و هو

---

٩٢. جبران خليل جبران ـ العواصف ـ من (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران) جمعها ميخائيل نعيمه ـ ط بيروت ، ١٩٦٤ ص ٤٢٤

٩٣. جبران خليل جبران ـ البدائع و الطرف ـ من (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران) ط بيروت ، ١٩٦٤ ص ٥٢٠

يخاطبها و يعدد عطايا ها على الإنسان و يبين صنع الانسان بها بصورة بديعة وسبك جميل تتدفق فيها الروعة الموسيقية تدفقاً جذاباً. ولم تتوقف هذه الروعة الموسيقية على هاتين المقالتين بل توجد فى معظم مقالاته فقد عرضنا هذه الأمثلة فقط على سبيل المثال. والواقع ان روعته الموسيقية هى من أبرز مزاياه الإنشائية.

عنف العاطفة:. ويوجد عنف العاطفة فى كتابة جبران بأنوع مختلفة من أبرزها ثلاث، التقريع والتهكم والتمرد . وهذه الثلاث تنبت من أصل واحد هو عدم الرضا بما يراه من أعمال الناس فهو يعنف الناس على قبولهم العبودية فى أى شكل جاء ت ، يقول فى مقاله " يا بنى أمى" " نفوسكم تتلوى جوعاً وخبز المعرفة أوفر من حجارة الأودية ولكنكم لاتأكلون ، قلوبكم تختلج عطشا و مناهل الحياة تجرى كالسواقى حول منازلكم ..... فلماذا لاتشربون ..... لقد كنت أحبكم يا بنى أمى وقد أضر بى الحب ولم ينفعكم" ٩٤

و كذلك يعنف جبران فى مقاله "لكم لبنانكم ولى لبنانى" تعنيفاً شديداً. إذ يقول: " و من هم ياترى أبناء لبنانكم ؟ ألا فانظروا إلى حقيقتهم : هم الذين ولدت أرواحهم فى مستشفيات الغربيين، هم تلك القضبان اللينة التى تميل إلى اليمين وإلى اليسار ولكن بدون إرادة ، و ترتعش فى الصباح و المساء و لكنها لاتدرى أنها ترتعش، هم أولئك العبيد الذين

---

٩٤. جبران خليل جبران ـ يا بنى أمى ـ من (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران) جمعها ميخائيل نعيمه ـ ط بيروت ، ١٩٦٤ ص ٣٩٠

تبدل الأيام قيودهم المصدأة بقيود لامعة فيظنون أنهم أصبحوا أحراراً مطلقين " ٩٥

ويوجد هذا النوع من التقريع في كثير من مقالاته خاصة في تلك المقالات التي يوازن فيها جبران بين شيئين.

وفي التهكم أيضاً يحمل جبران على ضعاف النفوس من أصحاب المكر والخبث والجبن والجمود .فيقول للذين يلومونه على تطرفه في ندب الشرقيين ، ونظره إلى حياتهم من الوجهة المظلمة : " أنا أندب الشرق لأن الرقص أمام نعش الميت جنون مطبق..... أنا أرى الجيفة المنتنة فتشمئز نفسي و تضطرب أحشائي، ولا أستطيع أن أجلس قبالتها و في يميني كأس من الشراب و في شمالي قطعة من الحلوى " ٩٦

كتب جبران مقالات تهكمية كثيرة مثل "فلسفة المنطق" "الشيطان" "الكلام" "السرجين المفضض" وغيرها من المقالات الأخرى .

أما التمرد ، فهو طابع جبران الخاص وخصوصاً في المرحلة الأولى من حياته. تتجلى هذا التمرد في نوع اوأخر في جميع مقالاته. نحو "حفار القبور" و "الإله المجنون" و "العبودية" و "لكم لبنانكم ولي لبناني" و غيرها من المقالات الأخرى.

---

٩٥. جبران خليل جبران ـ لكم لبنانكم و لبناني ـ من (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران) ط بيروت ، ١٩٦٤ ص ٥٢٢

٩٦. جبران خليل جبران ـ العواصف ـ من (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران) جمعها ميخائيل نعيمه ـ ط بيروت ، ١٩٦٤ ص ٤٠٩

الفصل الثانى

آثاره الادبية

لقد ترك جبران آثاراً كبيرة و أثرى الأدب العربى بكتبه العربية و الإنكليزيه القيمة وإبتداعاته النادرة ، التى يزال الأدب العمل سأقوم فى الصفحات التالية بتقديم اعماله الأدبية وبتحليلها يفتخربها ، و بكشف بعض جواتبها الخفية وخاصة الجانب الرومانسى.

مؤلفاته :

☆ بالعربية :

الموسيقى ١٩٠٥	عرائس المروج . ١٩٠٦
الأرواح المتمردة ١٩٢٠	الأجنحة المتكسرة .. ١٩٢٢
المواكب (شعر) ١٩٢٣	العواصف . ١٩٢٣
دمعة وابتسامة .. رسائل متفرقات	

☆ بالانكليزية :

المجنون .. ١٩٢٤	السابق ١٩٢٤
النبى .. ١٩١٦	رمل وزبل ١٩٢٧

يسوع ابن الانسان .١٩٣٣ آلهة الارض ١٩٣٢

التائه ١٩٥٠ حديقه النبى . ١٩٥٠

لونتصفح أوراق تاريخ الأدب العربى الحديث نجد أن هذا العبقرى الفذ عاش ثمانية و أربعين عاما أولها فى بشرى ، لبنان ، وآخرها فى نيويورك فى الولايات المتحدة الأمريكية من عام ١٨٨٣ م إلى عام ١٩٣١م إنه مر بمراحل مختلفة فى حياته وذاق مرارتها فى حين وحلاوتها فى حين آخر، ولكنه منذ نشأته عانى معاناة شديدة و مر بكثير من مراحل الأحزان والكآبة لذلك نجد كل مقال كتبه يتقطر بالعواطف الرومانسية و يصور حياته بمراحلها المختلفة ،كانت ولادته فى لبنان ، ففى تلك البقعة الفنية بمفاتنا البيعية وذكر يا تها الدينية ثروة من الجمال الذى إكتحلت به عين جبران و استحمت به روحه و إغترف جبران من تلك الثروة الفنية فى صباه قبل أن يهجر إلى بوسطن سنة ١٨٩٤ م ، ثم فى شبابه يوم عاد ليدرس فى مدرسة الحكمة البيروتية بين ١٨٩٦ و ١٩٠١ ، ثم راح ينشر بقلمه و بريشته ما إغترف من ذلك الجمال ، وينشره بلباقة الفنان الأمين لفنه وسخاء الشاعر الملئ بالشعور، فأنت تشم طيوب لبنان، و تستشعر سحر أعالية وأغواره و تحس جماله وجلاله فى كتابه "النبى".

كان أول ماكتبه جبران مقال فى الموسيقى ، أصدره عام ١٩٠٥م ، فى نيويورك ، فكان الحلقة الأولى فى سلسلة مؤلفاته التى تنتهى بكتابه الإنكليزى "التائه" الذى نشر بعد وفاته ، يقول عن أسلوبه ميخائيل نعيمه :

يتميز بسهولة التعبير ، و حلاوة التلوين و لطافة الوقع و صدق النية و سلامة الذوق ،

و عمق الإحساس ، و النزعة إلى الإبداع فى الوصف و التشبيه ، فهو يتنكب المألوف من الجناس و المجاز و يحاول تحميل الكلمات من المعانى فوق ما تعودت حمله على ألسنة الكتاب و الشعراء مثلما يحاول تجريدها من الثقافة و الفضول."[٩٧]

و من يقرأ هذا الكتاب (الموسيقى) من البداية إلى النهاية لا يشعر أنه إكتسب شيئاً كان يجهله من علم الموسيقى أو فلسفتها ، و لكنه يشعر أنه شرب جرعة من خمرة بكر لواتيح لها أن تتعمق لكانت أشهى مذاقاً و أبعد فعلاً و كذلك يشعر أن ذلك الشخص الذى يكلمه غنى القلب عزيز النفس ، يكره التقليد و يحاول شق طريق جديد.

و بعد إصدار الموسيقى لعام و بعض العام أتى جبران بكتاب آخر أكبر حجماً و أبعد مدى منه و هو "عرائس المروج" و ضمنه قصصاً ثلاثاً "رماد الأجيال و النار الخالده" و "مرتا البانية" و "يوحنا المجنون" و القصة الأولى حكاية حبيبين عاشا فى سنة ١١٦ قبل الميلاد و كان أحدهما كاهناً فى هياكل بعلبك يوم كانت فى ذروة مجدها و جمالها ، و لكن الموت لم يمهله أن إختطف من الكاهن معشوقة و تركه هائما فى البرية البعيدة مع أسراب الغزلان و لكن على حد قول جبران فى هذه القصة ، تمر الأجيال و تسحق أعمال الإنسان و لكن لا تفنى أحلامه و لا تضعف عواطفه فالأحلام و العواطف تبقى ببقاء الروح الكلى الخالد.

لذلك يعود الحبيبان إلى الأرض فى ربيع سنة ١٨٩٠م ، و يعودان إلى بعلبك عينها و قد أمست هياكلها طلولاً و لكنها يعودان فى زى فتى يرع الأغنام و فتاة قروية عارية القدمين

---

٩٧. ميخائيل نعيم ـ مقدمة "المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران" ص ٧

تحمل جرتها على كتفها لتملأ من الجدول ، فتقول الفتاة لفتاها :

"قد أعادت عشتروت روحينا إلى هذه الحياة كيلا تحرم ملذات الحب و مجد الشبيبة ياحبيبى فيتعانق الحبيبان و يسكران بخمرة القبل و ينام كل منهما ملتفاً بذراعى الآخر إلى أن مال الظل و أيقظتهما حرارة الشمس." ٩٨

و فى "رماد الأجيال" قد بر جبران ببعض و عوده التى قام بها فى "الموسيقى" و يقدم بعض التعابير الجديدة و التشابيه المبتكرة التى إستحدمها جبران فى هذه القصة أمثال "فى تلك الساعات المملؤة بسحر الهدوء ، الموحدة بين أرواح النيام و أحلام اللانهاية و قوله "و وشحت تمثال المعبودة بنقاب لطيف يشبه برقع الأمانى المحيط بالقلب البشرى و مات قلبى فى داخلى و إلتهبت دموعى فى عينى" و كل هذه التعابير مملؤة بالعاطفة الرومانسية ، و الخيال المبتكر و يتكلم جبران عن المجاعة الروحية و عن الذات المقتبسه و الذات المعنوية الخفية المفعمة بالأحلام المترفعة عن شرائع الإنسان و تعاليمه و هو لم يبلغ الخامسة و العشرين من عمره.

و جبران مع كونه عبقرياً و بارعاً فى الكتابة و لكنه لا يجيد الحبك فى القصة و لا يحسن التصوير الواقعى يقول ميخائيل نعيمة "و جبران فى قصصه يخلق حالات و أشخاصا تنقصهم دقة الحبك و التصوير الواقعى و لا غرض له من خلقهم إلا أنه يجعل منهم مطايا لقلمه ليفتن ماشاء له الفن فى وصف الطبيعة و وشى المشاعر البشرية و على الأخص تلك

---

٩٨. ملخص من كتابه عرائس المروج

التى يغلب فيها التوجع و التفجع و التأسى"[٩٩]

و كذلك يصور جبران فى "مرتا البانية" فتاة قروية فقيرة الحال ، طاهرة القلب و الجسد ، يغويها رجل من المدينة فتحمل منه و تلد غلاماً ثم ينبذها و طفلها فترميها الحاجة فى أحضان الدعارة و يهتدى إليها المؤلف و هى على فراش الموت فيدور بينهما حديث طويل و إليكم فقرات منه.

"إن أدران الجسد لا تلامس النفس النقية و الثلوج المتراكمة لا تميت البذور الحية ، و ما هذه الحياة سوى بيدر أحزان تدرس عليه أغمار النفوس قبل أن تعطى غلتها و لكن ويل للسنابل المتروكة خارج البيدر .... النفس يا مرتا حلقة ذهبية مفروطة من سلسلة الألوهية ... إى يا مرتا ، أنت زهرة مسحوقة تحت أقدام الحيوان المختبئ فى الهياكل البشرية .... تعزى يامرتا بكونك زهرة مسحوقة و لست قدماً ساحقة."[١٠٠]

فتجيب مرتا المتخضرة :

"نعم أنا مظلومة ، أنا شهيدة الحيوان المجتبئ فى الإنسان ، أنا زهرة مسحوقة تحت

---

٩٩. ميخائيل نعيمه ـ مقدمة "المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران ـ ط بيروت ، ١٩٦٤ ص ١٠

١٠٠. جبران خليل جبران ـ عرائس المروج (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران) ص ٦٥-٦٦

الأقدام .... أيها العدل الخفي ، الكامن وراء هذه الصور المخفية ، أنت أنت السامع عويل نفسي المودعة و نداء قلبي المتهامل ، منك وحدك أطلب و إليك أتضرع ، فارحمني و ارع بينماك ولدي و تسلم بيسراك روحي."[١٠١]

كل من يقرأ مثل هذه العبارة يشعر الحالة النفسية و حلاوة تعبيرها كأنه هو الذي يصورها يقول نعيمه :

"إن في ما يقوله المؤلف لمرتا و في ما تقوله مرتا للمؤلف لكثيراً من حلاوة التعبير ، و طلاوة التصوير و سمو التفكير و لكنك تخرج منه و في مخيلتك صورة لمرتا رسمتها أنت و لم يرسمها لك المؤلف و في وجدانك مشاعر أيقظتها تخيلاتك و لم يوقظها الكاتب بتشابك الحوادث التي خلفها و لا بدخوله إلى قلب تلك الحوادث و لا بلباقته في تيسير الحوار بحيث يكشف لك الستائر عما في ضمائر المتحاورين و في قلوبهم."[١٠٢]

كان جبران مفطوراً على الصدق و الرفق واللين و كان يؤمن بكرامة الإنسان و ألوهية عنصره فكان طبيعيا له أن يصطدم في بدء تفتحه الفني و الروحي إصطداماً عنيفاً مؤلفاً بخشونه الواقع و رياء الحياة البشرية المكبلة بالتقاليد و الشرائع و قد حارب جبران هذه التقاليد و الشرائع المصطنعة بكل قوة ، و جرد كل ما لديه من سلاح و عتاد ، و في الفترة التي ولد فيها جبران في لبنان تسودها إقطاعيتان : سياسة و دينية و قد إتخذ جبران من هاتين

---

١٠١. نفس المصدر ص ٦٦ - ٦٧

١٠٢. ميخائيل نعيمه - مقدمة (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران) ص ١١

الاقطاعيتان أهم المواضيع للقصص التى صنفها قبل أن إكتملت عدته الفنية و الفكرية و مواضيعه تكاد تنحصر فى إثنين : جور التقاليد البشرية فى ما حللته و حرمته من العلائق بين المرأة والرجل ، و جور الحكام المدنيين و الدينيين فى علاقتهم مع الجماهير التى ندعوها الشعب ، و لعل أحب الناس عند جبران هو إبن الفطرة و إبن الطبيعة ، سواء كان راعى أبقار أم كان حراساً أم عاملاً لا سلاح فى يده غير المعول و لعل أبغض الناس عنده هم الذين يظلمون أبناء الفطرة و الطبيعة ، فيهضمون حقوقهم و يمتهنون كرامة الإنسان فيهم و يقدمون اليهم السم فى الدسم.

و فى عام ١٩٠٨م ، صدر لجبران كتاب "الأرواح المتمردة" فى نيويورك و قد نشرته جريدة "المهاجر" و إن كانت الفترة بين "عرائس المروج" و بين "الأرواح المتمردة" قصيره ولكن يوجد بينهما بون شامع من حيث المعالجة و الأداء ، و إن كانت المواضيع و المرامى مشابهة ، فالديباجة فى "الأرواح المتمردة" أكثر إشراقاً و اللغة أمتن سبكا و أحب صدراً و الحجة أقوى حبكا و أبعد أثرا ، والفكر أصفى ينبوعاً و أسرع جريا و الجرس ألطف وقعاً و أشجى لحناً.

و كتاب "الأرواح المتمردة" كما يدل عنوانه يحدث عن أرواح تمردت على التقاليد و الشرائع القاسية التى تحد من حرية الفكر و القلب و التى تمنح لجماعة من الناس سلطة تحكم بها فى أرزاقهم و عواطفهم و أعناقهم باسم القانون و باسم الدين ، جبران يفتح الكتاب بحكاية "السيدة وردة" فيصورها إمرأة بعيدة الفكر صادقة القلب ، جميلة الوجه ، نبيلة الروح فزرجها أهلها بشخص يفوقها سنا بكثير فما لبثت أن كرهته و بدأت تحب شاباً

آخر أثار كوامن نفسها مثلما أثارت كوامن نفسه و هجرت زوجها و التحقت بحبيبها غير مبالية بلواذع النقد و بالقطيعة الإجتماعية ، فهذه القصة من أولها إلى آخرها شكوى إمرأة مظلومة و لكنها شكوى بليغة و مؤثرة بما أودعها فن جبران و حماسته و إندفاعه من جمال و قوة و إخلاص.[١٠٣]

و كذلك الحال فى "صراخ القبر" فهى حكاية ثلاثة أشخاص حكم عليهم الأمير بالقتل من غير أن يسألهم سؤالاً و من غير أن يسمع شهادة شاهد فى قضاياهم ، أولهم شاب أتهم بقتل ضابط و لكنه قتل دفاعاً عن عرضه و شرفه و ثانيهم فتاة إتهمها زوجها بالخيانة و لكنها فى الواقع ما خانته بل لم تكن تحبه لأنها إرتبطت به برغم إرادتها و كانت تحب سواه و قد فوجئت فى خلوه مع حبيبها فاتهمت بالخيانة و حكم عليها بالرجم و ثالثهم إتهموه بسرقة بعض الأوانى الذهبية من كنيسة الدير ولكنه فى الواقع ما سرق غير زنبيل من الدقيق لأنه كان يتضور و أولاده جوعاً من بعد أن طرده الدير من خدمته.

إلا أن جبران لم يتابع الواقع فى ترتيب الحوادث و الأشخاص فى هذه القصة بل أراد أن يخلق بقلمه جواً يستطيع أن يسرح فيه على هواه فيصف ما طاب له الوصف و يندد ما لذله التنديد يقول جبران فى "صراخ القبور" "الشريعة و ما هى الشريعة ؟ من رآها نازلة مع نور الشمس من أعماق السماء ؟ و أى بشرى رأى قلب الله فعلم مشيئته فى البشر؟ و فى أى جيل من الأجيال سار الملائكة بين الناس قائلين : إحرموا الضعفاء نور الحياة" بناء على هذه

---

١٠٣. ملخص من كتابه (الأرواح المتمردة)

العبارة لجبران ممكن أن نقول إن لجبران شريعة خاصة و هى شريعة الغريزة و أما الشرائع المعروفة لدى الناس لا قيمة لها و لا أهمية ، ولا بد للناس أن لا يتقيدوا بشرع غير شرع الغريزة.

و فى "مضجع العروس" تابع جبران نفس الموضوع و هو موضوع الزواج الكرهى و جور الحكام و الرهبان ، فهناك فتاة و فتى يتعشق و احهما الآخر و لكن الفتاة تزف إلى رجل و ذلك من بعد أن وشى لها الوشاة أن حبيبها هام بغيرها و فى ليلة زفافها تلتقى الفتاة بحبيبها فيعلن الفتى أنه مال عنها إلى سواها و لكنها لا تصدقه و عندما يصر على قوله تستل خنجراً و تطعنه و عندئذ و هو بين يدى الموت يبوح لها من جديد بحبه و يلفظ أنحابه ، فتدعو الفتاة الناس إلى "عرسها الحقيقى" و فوق جثة العريس تلقى خطبة رائعة فى جمال الحب و قساوة التقاليد التى تحاول حصره و خنقه فتقول للناس : "أنتم لاتفهمون كلامى لأن اللجة لا تعى أغانى الكواكب" ثم تخاطب الرجل الذى زفت إليه برغم أنفها فتقول له: "أنت أيها الرجل الغبى الذى إستخدم الحيلة والمال والخباثة ليصيرنى له زوجة. أنت رمز هذه لأمة العيقمة التى تبحث عن النور فى الظلمة و ترقب خروج الماء من الصخرة و ظهور الورد من القطرب"[١٠٤]

ثم هى تغمد الخنجر فى صدرها ولاتنقطع عن الكلام حتى ينقطع قلبها عن النبض. و تنتهى القصة بجملة عنيفة على الكاهن، الذى رفض الصلاة على المنتحرين مهدداً باللعنة

---

١٠٤. جبران خليل جبران ـ مضجع العروس (المجموعة الكاملة) ص ١١٨

كل من يجترعلى لمسها . ولكن فتاة متمردة هبت للكاهن تعنفه و تتحداه "أنا أبقى ههنا أيهاالكافر الأعمى، و أنا أحرسهما حتى يجئ الفجر، وأنا احفر لهما قبرا تحت هذه الأغصان المتدلية.

كان جبران يحب موطنه الصغير حباً شديداً، ففى جبال لبنان الجميلة تفتحت عبقريته فكان طبيبا أن يتغنى جبران أول ما يتغنى بمفاتن لبنان، و أن يحس أوجاعه فى كل نبضه من نبضات قلبه الحاس و أن يتنفض وجداته السليم إنتفاضة الالم العميق لكل مشهد من مشاهد الذل والظلم والرياء فى هذه البقعة التى أحبها إلى أقضى حدود المحبة وكان يودها ظاهرة من كل شئ إلا من الكرامة والعدل والجمال والمحبة كل ما كتب فى حياته الابتدائية كان من .

ولذلك كانت كل بواكيره من وحى لبنان. فمن "الموسيقى" إلى "عرائس المروج" إلى"الأرواح المتمردة" إلى "الأجنحة المتكسرة" يمضى جبران يعرض عليك صوراً لبنانية، و وجوها لبنانية ، و أصواتاً لبنانية ثم ينصرف عن موطنه الأصغر إلى موطنه الأكبر، إلى العالم . و لكنه يعود بك بين الحين والحين إلى لبنان فتسمعه يصرخ بعد أعوام " لكم لبنا نكم و لى لبنانى"

و أصدر جبران "الأجنحة المتكسرة" فى نيويورك بعد "الأرواح المتمردة" بأربع سنوات يروى فيها جبران رواية حبه الأول و يرويها بأسلوب شعرى، وجدانى، مشبع بروح التقديس للحب وكل ما يبعثه فى النفس من غبطة سماوية وآلام لا تطاق ، وجبران كلما تغنى بآلام القلب البشرى وآلامه أسمعك من الالحان أشجاها و أراك من الألوان أبهاها.

فكيف به يتفنى بحبه الأول وبجمال الفتاة التى أيقظته فى قلبه.

لقد حاول جبران فى " الأجنحة المتكسرة" أن يكتب رواية إلا أنه ما استطاع أن يخرج فى محاولته هذه عن نطاق محاولاته السابقة.

و القصة هى أنه كانت فتاة جميلة إسمها "سلمى كرامة" وهى كانت فى مستهل الشباب"وليس بين النساء من تماثلها رقة وجمالاً وهى وحيدة والدها الأيم الذى يحبها حتى العبادة، وهو صديق قديم لوالد جبران ، وصداقته للوالد جلبت الولد إلى بيته حيث عرف سلمى فتمكن الحب بين قلبه و قلبها من اللحظة الأولى. و باح كل من الحبيبين بوجده لرفيقه. إلا أن المطران طلب سلمى لإبن أخيه. فما كان من الوالد إلا أن أجاب بالإيجاب من غير أن يستشير ابنته بكلمة ولاكان من الإبنه إلا أن أجابت والدهار "نعم" من غير أن تأخذ رأى حبيبها فى الأمر. وكان زواج وكان شقاء، وكان مأساة ملأها التفجع والتوجع وتبادل الشكوى الشعرية والفلسفية بين الحبيبين اللذين راحا يجتمعان خلسة.

و خشيت سلمى على حبيبها من أن يدرى الناس بما بينها وبينه فيسلقوه بألسنتهم ، لذلك إعتزمت أن تضحى"بالمحبة المحدودة" فى سبيل "المحبة غير المحدودة" فتقلع عن زياراتها السرية، وحملت سلمى بعد عقم و وضعت غلاما عند الفجر مالبث أن قضى نحبه عند شروق الشمس ومالبثت أمه أن التحققت به.

إن فى هذه القصة . مثلما فى كل قصص جبران شحوباً مرده طغيان الحديث فيها على الحركة. والخيال على الواقع. وهذا الشحوب هو فى آن واحد مصدر الضعف والقوة، ففى الحديث بريق من الفن والفلسفة ينسيك مافيه من تصنع "و يعوض عن قلة الحركة إلى

حد بعيد ، و من ثم مادان جبران يوما بقوة الواقع وحقيقته ودان كل حياته بحقيقة الخيال وسلطانه.

وبعد "الأجنحة المتكسرة" هجرجبران القصة فما عاد إليها إلا نادراً. وانصرف إلى المقطوعة من نوع "الشعرا لمنثور) وإلى المثل والموعظة.

و بين عام ١٩٠٣م و عام ١٩٠٨م ، أخذ جبران ينشر فى جريدة "المهاجر" مقالات من الشعر المنثور تحت عنوان "دمعة وابتسامة" وهذه المقالات هى التى جمعت عام ١٩١٤ م ، و نشرت فى شكل كتاب بنفس العنوان.

ويضم هذا الكتاب نحواً من ٦٠ مقطوعة ينشرفيها جبران نتفاً فياضة من قلبه، و شرارات و هاجة من فكره ، و ألوانا مواجة من خياله، و ينشرها بقلم ناعم، صادق ، و إن دراسة "دمعة وابتسامة" تقود إلى تاريخ قلب جبران وفكره و تاريخ حياته حتى عام ١٩٠٨م.

و فى هذا الكتاب تتدفق العواطف والهواجس التى أثارتها حياتها فى بيروت وكذلك حياتها فى باريس التى زار خلالها أهم العواصم الأوروبية وكذلك مطالعاته الدائمة فى الآداب الغربية والشرقية والرزايا التى نزلت به إذ إختطف السل أخاه ، ثم شقيقته ثم أمه. كل ذلك و مايثره من تأملات فى الحياة و شئونها تظهر آثاره بارزة فى الكتاب.

و جبران يقدم فى هذا الكتاب أكوابا طافحة بمرارة الكآبة و الوحشة و أخرى مترعة بخمور الحب والأمل. ففى معظم مفطوعات "دمعة وابتسامة" تلتمع أقباس من الحقيقة التى صاغ منها جبران فيما بعد مواعظ نبيه. وهى حقيقة المحبة التى تشد الأكوان بعضها إلى

بعض و تجعل للحياة معنى شاملاً يتسامى فوق كل المقادير والمقابيس البشريه ، و تقيم للانسان وزناً يضيق به الزمان والمكان، فما أكثر ما يذكر جبران المحبة. وما أكثر ما يمجد الانسان. و إن هو تبرم بما فى حياة الناس من خساسة وقباحة وجهل وظلم فما كان ذلك يعميه عن حكمة الحياة الشاملة و عدلها وعن ألوهية الإنسان فهو يقول فى "القوة العمياة".

"إن وراء الكائنات حكمة سرمدية تبتدع من كوارث ونوازل نراها محاسن نتائج لانراها" ثم يقول فى نهاية المقطوعة. "على أننى وجدت بين هذه النكبات المخيفة والرزايا الهائلة ألوهية الإنسان واقفة كالجبار تسخربحماقة الأرض و غضب العناصر ، و مثل عمود نور منتصبة بين خرائب بابل و نينوى و تدمر وبمباى وسان فرانسسكو ترتل أنشودة الخلود قائلة: لتأخذ الارض مالها. فلا نهاية لى.

و فى عام ١٩١٩ م ، أصدر جبران قصيدته "المواكب" وهى تمثل ناحية جديدة من حياة جبران متعددة النواحى، وهى المرة الأولى والأخيرة التى إختار جبران فيها أن يتقيد بالوزن والقافية لخلق عمل فنى له شأن. و قد نظم سابقاً القليل من الشعرالموزون فى حالات عاطفية طارئة. أما فى هذه القصيدة فيلجأ جبران إلى فكره قبل قلبه و يسوق إلينا خواطر فلسفية فى أهم شئون الحياة البشرية كالخير والشروالدين والحق والعدل وغيرها.

و فى هذه القصيدة تياران يجريان فى إتجاهين متعاكسين أولهما يمثل الحياة بظاهرها القبيح وباطنها الجميل، والثانى يمثلها وحدة روحية لاباطن لها ولاظاهر. الاول يتبرم بما فى الحياة البشرية من رياء وضعف وذل وقلق ونضال دائم بين الخيروالشر. والثانى يمجد الحياة فى الغاب، حياة الفطرة والسليقة. حيث لاخير و لاشر بل إستسلام

كامل إلى المشيئة العاقلة المدبرة التى تتسامى فوق الشر والخير ويتخيل أن التيار الأول صوت شيخ والثانى صوت شاب. يفتتح الصوت الأول القصيدة بأبيات فى الخير والشر ثم ينتقل إلى الحياة فالدين فالعدل فالحق فالعلم فالحرية فاللطف فالظرف فالحب فالجنون فالسعادة فالروح فالجسد فالموت ، و هذه كلها يجول فيها جولات طويلة أو قصيرة تتشابه فى رزانة النبزه و فى السعى وراء الجديد و الجليل فى المعنى. و تتفاوت فى حظوظها من الوضوع والغموض و من إنسجام المعانى و المبانى. وحاول جبران أن يروض اللغة و الوزن و القافية و لكن العياء لا يلبث أن يبدوعليه. إلا أنه حيثما حالفه التوفيق جاء بالنفائس مثال ذلك قوله فى الحياة.

فالارض خمارة والدهر صاحبها و ليس يرض بها غير الأولى سكروا

وقوله فى الحق :

والحق للعزم والأرواح إن قويت سادت و إن ضعفت حلت بها الغير

وقوله فى الحرية :

والحرفى الأرض يبنى من منارعه سجناله وهو لايدرى فيؤتسر

و قوله فى الحب :

والحب إن قادت الأحسام موكبه إلى فراش من اللذات نيتحر

والحب فر الروح لافى الجسم نعرفه كالخمر للوحى لاللسكر تنعصر

وقوله فى السعادة :

وما السعادة فى الدنيا سوى شبح يرجى فان صارجسما مله البشر

والصوت الثانى يقول إن فى الغابات ألفة وصفاء و هناء لايشوبها نشئ من التناقض القائم فى أفكار الناس و قلوبهم من حيث علاقتهم بعضهم ببعض وبالكائنات من حواليهم. فيقول فى نشيده عن الخمروالسكر.

ليس فى الغابات سكر　　من مدام أوخيال

أعطنى النأى و غن　　فالغنا خير الشراب

ويقول أيضاً:

إنما الناس سطور　　كتبت لكن بماء

هذا عجيب لجبران الذى كان يؤله الانسان ويقول أن لانهاية له كما رأينا فى مؤلفاته السابقة خاصة فى "دمعة و إبتسامة" كيف يجرى قلمه فى كتابة هذا البيت "انما الناس سطور ــ كتبت لكن بماء.

و هذا البيت مملؤ بالتشاؤم والإستسلام للأقدار و هو النافخ فى بوق التمرد و العصيان.

ثار جبران فى بدء حياته الأدبية على الظلم الذى تجسد له أول ما تجسد فى جور التقاليد و الحكام و غطرسة رجال الدين فى لبنان. و انتهت ثورته تلك برواية "الأجنحة المتكسرة" وعقبتها فترة قصيرة من التصوف و الإستسلام و لكن مالبث أن أفسده عليه نيتشه بثورته الجامحة الهاصرة. وكتابه "هكذا تكلم زرادشت" فى نظر جبران "من أعظم ما عرفته كل العصور"

و ثار جبران مع نيتشه لا على الحكام و الرهابين وحدهم بل على جميع الناس و

التقاليدهم ومقاييسهم وموازينهم وعلى الأسس الواهية التى أقاموا عليها صرح حياتهم والتى لا تستطيع أن تحررهم من الخوف والذل والعبودية والمسكنة بل مكنت فى نفوسهم مخاوف ورذائل لاحصرلها. إذ قضت على الإرادة الخلاقة فيهم التى هى وحدها الكفيلة بأن تبلغ بهم الانسان الامثل.

ممكن نرى آثار هذه الثورة الجديدة فى 'المواكب" ولكن هذه الثورة تبدو عنيفة صارخة صاخبة فى مقالات كتبها قبل "المواكب" ثم جمعها وغيرها من المقالات وأصدرها فى كتاب سماه "العواصف فى مصر عام ١٩٢٠م ، و أبرز تلك المقالات و أشدها عنفاً "حفار القبور" وكذلك مقالات أخرى أهمها "العبودية" و "وبنى أمى" ونحن وأنتم" و "أبناء الألهة" و "أحفاد القرود" و "الأضراس المسوسة" و "العاصفة".

و فى "حفار القبور" لايجد جبران شغلاً أحب اليه من حصرالقبور والحاد الأموات. و من هم الأموات عنده الذين يلحدهم؟ هم جميع الناس الذين يرتعشون أمام عاصفة الحياة فتظنهم أحياء و هم أموات منذ الولادة و لكنهم لم يجدو من يدفنهم فظلوا منتظرين فوق الثرى ورائحة النتن تنبعث منهم.

هذا عجيب لجبران الذى ما كان يجل أحدا من معلمى الإنسانية و أنبيائها إجلاله يسوع ،كيف يرافق رجلاً مثل ينتشه حاول أن ينال من مجد المسح و سمو رسالته لأنه يصوره رجلا ضعيفاً متمسكا راح يموه على الضعفاء والمساكين ولكن جبران الذى وافق ينتشه فى نقمته على الناس و ضعفهم و إستكانتهم إلى الذل و العبودية لم يوافق فى نظرته إلى يسوع.

فى "العواصف" مقالات تعود بنا إلى ذلك الشاعر الواجدانى الذى ما كان يلذه شئ مثلما يلذه أن ينشرقلبه على الورق بكل ما فيه من حب وكآبة و وحشة وغربة وألم و شوق و حنين. مثال ذلك مقطوعته البديعة فى "الشاعر" حيث يقول.

"أناغريب فى هذا العالم.

أنا غريب وقد جبت مشارق الارض ومغاربها فلم أجد مسقط رأسى و لا لقيت من يعرفنى".

وكذلك مقاله الجميل "بين ليل وصباح" الذى يقول فى بدايته.

"اسكت يا قلبى فالفضاء لايسمعك" والذى يختمه بقوله:

"قم يا قلبى و ارفع صوتك مترنما. فمن لايشارك الصبح بأغانيه كان من أبناء الظلام.

وكذلك مقاله الجميل "بين ليل وصباح" الذى يقول فى بلايته.

"اسكت يا قلبى فالفضاء لايسمعك" والذى يختمه يقوله:

"قم باقلبى وارفع صوتك مترنما. فمن لايشارك الصبح بأغانيه كان من أبناء الظلام.

وكذلك مقاله المؤثر "مات أهلى" الذى يبلغ فيه منتهى الرقة والعذوبة والحنان.

حيث يقول:

"مات أهلى على الصليب.

ماتوا لأنهم لم يكونوا مجرمين.

ماتوا لأنهم لم يظلموا الظالمين.

ماتوا لأنهم كانوا مسالمين".

عندما قلت إن "العواصف" كان آخر كتاب أصدره جبران ما أردت أنه إنقطع من بعده إنقطاعاً ناما عن الكتابة بالعربية بل أردت أنه من بعد أن شق طريقه إلى العالم الإنكليزى إنصرف عن العالم العربى إلى حد بعيد. فما أصدر كتابا عربياً جديداً. و لكنه ظل يكتب مقالات متقطعة.

وكان آخر ماكتبه بالعربية مقالا أعده للسائع ولكنه لم يصدر وقد ادركته المنية ماء العاشر من نيسان سنة ١٩٣١ وكانت وفانه هزة منيفة للادب العربى.

و من كتبه الإنكليزية كتابه "النبى" أكثرها شهرة وأكبرها عظمة " خلق فيه جبرن شخصاً دعاه المصطفى وجعل روحه نيرة إلى حد أن سامعيه كانوا يخاطبونه "يا نبى الله" وهو يصوره لنا غريباً فى مدينة أو رفيليس قضى فيها إثنتى عشرة سنة فى إنتظار سفينته التى كان ينتظر قدومها لتعود به إلى مسقط رأسه. و إذ تقبل السفينة ، يتقاطر إليه أهل المدينة ملحين عليه بالبقاء بينهم فلا يجيبهم إلا بالصمت والدموع.

وأخيراً يسير معهم إلى ساحة أمام الهيكل، فتطلب منه رائيته الهيكل أن يحدثهم قبل الوداع عن أنفسهم وعماعرفه بالوحى منكل ماهو بين الولادة والوت. وهكذا يفتح المجال للمصطفى ليكشف لسامعيه علاقتهم بعضهم مع بعض ومع الحياة لاكمايرونهم بأعينهم المقنعة بالاؤهام بل كما يراها هو بعين روحه الصافية. فيلقى عليهم خمسا وعشرين موعظة فى خمس وعشرين جهة من جهات الحياة الانسانية، ثم يودعهم ودائما مؤثرا ويتصرف عنهم إلى بلاده."

الفصل الثالث

الرومانسية فى أدب جبران

كان جبران رائداً للحركة الرومانسية فى الأدب العربى، وهوالذى أعطى الرومانسية العربية شكل الحركة و رومانسية لاتقل قوة أهمية من الرومانسية الأوروبية ، يقول إحسان عباس "..... كان رومنطيقياً إلى أطراف أصابعه، وصوره تكاد لاتفترق فى شئ عن شعراء الرومانطيقيين بفرنسا وإنكلترا " [١٠٥] وكان جبران متأثراً تأثراً واضحا بأعمال الشعراء الرومانسيين الجدد الأمريكيين و الأوروبيين كذلك، وكان يحمل وجدانا عميقاً ، و نفسا رومانسية مرهفة ،و عاطفة متدفقة ، تقوم رومانسيته على معظم القواعد والموضوعات التى قامت عليها الرومانسية الغربية ، و توجد جميع مواضيع الرومانسية وصفاتها فى أعماله بدرجات متفاوتة.

الثورة :

كانت الثورة عنصرا أساسيا فى أعمال جبران، وصفة مميزة "قدثار جبران على قومه و مجتمعه. و تحولت ثورته إلى شعور قاس بالمرارة و الأسى، حتى كان يتمنى لولم يكن شيئاً

---

١٠٥. إحسان عباس ـ فن الشعر ـ ط بيروت ، ص ٤٦

يذكر فى هذاالمجتمع كى لايعيش الصدام المرير مع أبناء مجتمعه."[١٠٦]

يقول جبران فى مقاله " نفسى مثقلة باثمارها" " ألا ليتنى شجرة لاتزهر، ولاتنبت! فألم الخصب أمر من ألم العقم. ليتنى كنت بئراً جافة، والناس ترمى بى الحجارة، فذلك أهون من أن أكون ينبوع ماء حى و الظامئون يجتازوننى ولايستقون. ليتنى كنت قصبة مرضوضة تدوسها الأقدام، فذاك خيرمن قيثارة فضية الأوتار فى منزل، ربها مبتور الأصابع وأهله طرشان."[١٠٧]

لقد ثار جبران فى هذه العبارة على الحياة الراكدة والجامدة التى لاحراك فيها ولا حيوية، الحياة بدون الحيوية لامعنى لها عندجبران وقد عبرهذه العاطفة بطريق تورى نادر.

وهذه الثورة تبدو واضحا جليا بكل قوة فى مقاله "لكم لبنانكم ولى لبنانى" يقول "لكم لبنانكم و أبناؤه ولى لبناتى وأبناؤه ! ومن هم ياترى أبناء لبنانكم ألا فانظروا هنيهة لأريكم حقيقتهم ! هم الأحرار المصلحون المتحمسون، ولكن فى صحفهم وفوق منابرهم، والمنقادون الرجعيون أمام الغربيين. هم أولئك العبيد الذين تبدالأيام قيودهم المصدأة بقيود لامعة، فيظنون أنهم أصبحوا أصراراً مطلقين.

هؤلاء هم أبناء لبنانكم، فهل بينهم من يمثل العزم فى صخور لبنان، أم النبل فى إرتفاعه، أم العذوبة فى مائه، أم العطر فى هوائه؟

---

١٠٦. الدكتور ياسين الأيوبى - مذاهب الأدب - ص ٢٨٢

١٠٧. جبران خليل جبران . البدائع والطرائف. من (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران) تقديم ميخائيل نعيمه . ط بيروت ، ١٩٦٤ . ص ٥٠٠

و لكن قفوا قليلاً و انظروا لأريكم أبناء لبنانى:

هم الفلاحون الذين يحولون الوعر إلى حدائق وبساتين ، هم الرعاة الذين يقودون قطعانهم من واد إلى واد، فتنمو وتتكاثر و تعطيكم لحومها غذاءً و صوفها رداءً ." ١٠٨

و تجرى هذه الثورة من بداية المقالة إلى نهايتها بنفس القوة والعاطفة،"ويرى بعض الدارسين أن هذه الثورة الجبرانية ليست إلا إنفعالات هوجاء لم تنطلق من أرضية واقعية ، و رؤيا واضحة للعلاقات إلاجتماعية كعلاقات تناقض ، لاتحل إلا بقوة الصراع الطبقى، وأن هذا الكلام لايخرج عن نطاق الميتافيزيقيا، لايمكن حل مشكلاتها إلا حلا وهميا، سواء إتخذ هذا الحل شكل السحرأو النبوءة أو غيرهما" ١٠٩

وقد تمرد جبران على تقاليد الماضى و شرائعه وحاول أن يهدم كل ما بناه الناس من أوضاع و شرائع فيقول على لسان "الإله المجنون": " فى الصباح أجدف على الشمس، وعند الظهيرة ألعن البشر، و فى المساء أسخر بالطبيعة، و فى الليل أركع أمام نفسى وأعيدها" ١١٠

وكذلك يذهب جبران إلى أبعد من ذلك فى مقاله "المخدرات والمباضع" فبعد أن

---

١٠٨. جبران خليل جبران . البدائع والطرائف. من (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران) تقديم ميخائيل نعيمه . ط بيروت ، ١٩٦٤ . ص ٥٢٢-٥٢٣

١٠٩. يمنى العبد ـ الدلالة الإجتماعية لحركة الأدب الرومانطيقى فى لبنان ـ ط بيروت لا توجد سنة الطبع ، ص ٤٩

١١٠. جبران خليل جبران ـ العواصف ـ (المجموعة الكاملة)ص ٣٧١

يعدد أراء الناس فيه و فى كتابته يقول "وهم مصيبون. فانا متطرف حتى الجنون، أميل إلى الهدم لاإلى البناء ، وفى قلبى كره لما يقدسه الناس، وحب لما يأبونه. ولو كان بامكانى إستئصال عوائد البشر وعقائدهم وتقاليدهم لما ترددت دقيقة.

أما قول بعضهم أن كتاباتى سم فى دسم ، فكلام يبين الحقيقة من وراء نقاب كثيف. فالحقيقة العارية هى أننى لا أمزج السم بالدسم، بل أسكبه صرفا. غير أننى أسكبه فى كؤوس نظيفة شفافة."[١١١]

الغربة :

الغربة من الموضوعات التى تناولها جبران على مستوى رومانسى رفيع جارى فيها كبارشعراء الرومانسية. يحب جبران نفسه غريبا فى هذا العالم المزدحم بالناس، وهذا الشعور منبعث من تلك الأحداث التى مربها جبران منذ نعومة أظفاره. و قد عبرجبران هذه المشاعر والأحاسيس بصورة تؤثر على النفوس تاثيراً عميقاً يقول جبران فى مقاله (الشاعر)، " أنا غريب فى هذا العالم ، أنا غريب وفى الغربة وحدة قاسية و وحشة موجعة غير أنها تجعلنى أفكر أبدًا بوطن سحرى لاأعرفه..... أنا غريب عن أهلى وخلانى، فاذا مالقيت واحداً منهم أقول فى ذاتى من هذا، وكيف عرفته، وأى ناموس يجمعى به، ولماذا أقترب منه وأجالسه؟ ..... أناغريب عن جسدى، وكلما وقفت أمام المرأة أرى فى وجهى مالاتشعربه

---

١١١. جبران خليل جبران ـ العواصف ـ (المجموعة الكاملة)ص ٤٠٤

نفسى و أجد فى عينى مالا تكنه أعماقى " [١١٢]

الليل:

وكذلك يوجد ذكر الليالى فى أعمال جبران بكثرة بنعمته الخاصة و أحلامه الممتعة و موسيقاه العذبة يقول جبران فى مقاله (إنها الليل) :

"ياليل العشاق و الشعراء المنشدين

يا ليل الأشباح و الأرواح و الأخلية

يا ليل الشوق و الصابة و التذكار

أيها الجبار الواقف بين أقزام غيوم المغرب و عرائس الفجر ، و المتقلد سيف الرهبة المتوج بالقمر ، المتشح بثوب السكوت ، الناظر بألف عين إلى أعماق الحياة ، المصغى بألف أذن إلى أنه الموت و العدم ، أنا مثلك و إن لم يتوجنى المساء بغيومه الذهبية." [١١٣]

و إن تصور الليل عند جبران تصور نادر لا يوجد مثل ذلك فى أدب الرومانسيين الآخرين يقول الدكتور ياسين الأيوبى فى ليل جبران "و الملاحظ أن ليل جبران لا شبيه له فى آداب الرومانطيقيين ، و إن استقوا كلهم و إياه من نبع واحد هو النفس القلقة المتململة من هذا العالم الضيق الذى يزداد ضيقاً أمام أنظارهم اللامتناهيه." [١١٤]

---

١١٢. جبران خليل جبران ـ العواصف ـ (المجموعة الكاملة) ص ٤٨٧

١١٣. نفس المصدر ص ٣٨٣

١١٤. الدكتور ياسين الأيوبى ـ مذاهب الأدب ـ ص ٢٨٥

الطبيعة :

و كانت الطبيعة من أهم الموضوعات التى طرقها جبران فى كتاباته و كانت علاقته بالطبيعة علاقة وطيدة و كان يتغنى بها فى معظم أعماله و كذلك كان يدعو جبران إلى زيادة التعلق بها من خلال أعماله الأدبيه ، وكان أحب الناس عنده ابن الفطرة و كذلك أبغض الناس عنده من يظلعم على أبناء الفطرة.

يقول الدكتور ياسين الأيوبى : "و من الموضوعات التى طرقها جبران فى أدبه العام موضوعه الطبيعة و كان يسميها الأرض ، ربما لأن الأرض تحمل معنى الإحتضان أكثر مما تحمله كلمة الطبيعة و مع ذلك فقد تغنى جبران بالاثنتين ، مما لا مجال فيه لإستشعار أى تمييز من جانب الكاتب."[١١٥]

يقول جبران فى ذكر الطبيعة :

ما أجملك أيتها الأرض و ما أيهاك

نحن نكلل صدرك بالسيوف و الرماح و أنت تثمرين كلومنا بالزيت و البلسم.

نحن نزرع راحتك العظام و الجماجم ، و أنت تستنبتينها حوراً و صفصافاً.

نحن تستودعك الجيف و أنت تملئين بيادرنا بالأغمار و معاصرنا بالعناقيد."[١١٦]

الحزن و الكآبة و الموت :

---

١١٥. نفس المصدر و الصفحة

١١٦. جبران خليل جبران ـ البدائع و الطرائف ـ (المصدر السابق) ٥٣٢ ـ ٥٣٦

و كذلك يوجد ذكر الحزن و الكآبة و الموت فى كثير من مقالاته و كان يتحدث عن الحزن و الكآبة والألم و ما قد ينتابه من مشاعر سوداوية كثيراً ما دعته إلى نشدان الموت و الرغبة فى إحتواته.

و باختصار إن جبران يستحق لقب ريادة الرومانسية فى أدبنا الحديث ، إنه أحدث ضجة كبيرة فى الأدب العربى الحديث و له مساهمة كبيرة فى توجيه الحركة الرومانسية إلى ذروتها الشماء.

خاتمة البحث

إن النقاط التى أوردتها لا تشكل فى الحقيقة إلاّ ملامح عامة من الصورة الرومانسية ، و حاولت فى ذكر بعض هذه الملامح و بقيت أكثرها لم تذكر ، لأن الحركة الرومانسية عالم لا يحد و لم يستطيع النقاد إحتواء ه حتى اليوم ، لا من حيث صيغتها الأسلوبية و لا مضامينها الفكرية فالرومانسية مذهب أدبى و إجتماعى و حضارى ، نابع من روح العصر ، و متجه دائماً إلى تجسيد هذه الروح بشكل أو آخر.

و قد أكد الناقد الروسى الكبير ميلنسكى هذه الظاهرة حيث قال :

"إن النزوع الرومنتيكى ظاهرة النفس الإنسانية العامة التى تخص كل الأرمنة و الشعوب."[١١٧]

و لئن توقفت الرومانسية الأدبية بأشكالها التى درسناها عند منتصف القرن التاسع عشر، فانها قد تفرعت من جديد ، و اتخذت أشكالاً أخرى عرفت فيما بعد بمدارس أدبية أخرى من أهمها : المدرسة الرمزية ، و المدرسة البوناسية ، ثم المدرسة السريالية ، و كل هذه المدارس لا تزال ترفد من معين الرومانسية الذى لا ينضب ، و كيف ينضب و هو

---

١١٧. س . بيتروف ـ الواقعية النقدية ـ ترجمة شوكت يوسف ـ وزارة الثقافة و الارشاد القومى ، دمشق ، عام ١٩٨٣ ، ص ٧٠

المتبع فى ذات الانسان ، و ليس لهذه الذات أن تتوقف عن النبض ما دامت فى فلك الوجود.

و تتبعت فى أطروحتى هذه ، تلك الملامح الرومانسية التى كانت سائدة فى أعمال أهم الجماعات الأدبية كجماعة الديوان ، و جماعة أبولو و جماعة المهجريين لإن هذه الجماعات الثلاثة هى التى تعتبر منبع جميع النشاطات الأدبية فى الأدب العربى الحديث فى كل منطقة من مناطق العالم التى توجد اللغة العربية فيها فى أى نوع ، لم أذكر خصائص الحركة الرومانسية على المستويات المنطقية تجنباً من التفاصيل المفرطة ، و اكتفيت بذكر تلك المدارس الرائدة فى هذا المجال.

و كذلك عرضت فى هذه الرسالة الوجيزة حياة جبران خليل جبران ، و أسلوبه الأدبى و ألقيت نظرة عابرة على العناصر الرومانسية التى توجد فى أعماله الأدبية و مدى قوتها.

المراجع و المصادر العربية

(١) تاريخ آداب اللغة العربية - جرجى زيدان - مكتبة الهلال القاهرة ١٩٣٧م

(٢) رواد النهضة الحديثة - عبد مارون - دارالعلم، بيروت ١٩٥٢ م

(٣) فنون الأدب المعاصر فى سوريا - عمر الدقاق - دارالشرق ١٩٧١

(٤) تطور الأدب الحديث فى مصر - أحمد هيكل - الطبعة الثانية دارالمعارف القاهرة ١٩٧١م

(٥) الفنون الأدبية وأعلامها - أنيس المقدسى - دارالعلم للملايين بيروت فى النهضة العربية الحديثة ١٩٦٣م

(٦) الأدب العربى المعاصر فى مصر - شوقى ضيف - الطبعة الرابعة - دار المعارف ١٩٦٩م

(٧) الإتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر - محمد حسين - ج / ٢٠١ . القاهرة، ٥٦/ ١٩٥٤ م

(٨) الأدب وفنونه - عزالدين اسماعيل - القاهره ١٩٥٥م

(٩) الأدب ومذاهبه - محمد مندور - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٥١ م

(١٠)فى الأدب المصرى المعاصر - عبدالقادر القط - القاهرة ، ١٩٥٥ م

(١١) فى الأدب و النقد - محمد مندور - القاهرة ، ١٩٤٩ م

(١٢) نشأة النثر الحديث - عمر الدسوقى - ج / ١ ، القاهرة، ١٩٦١ م

(١٣) الثر العربى المعاصر فى مائة عام - أنور الجندى - القاهرة ١٩٦١

(١٤) دراسات فى الأدب الحديث - لويس أواد - دارالمعارف - القاهرة ، ١٩٦١ م

(١٥) الأدب العربى المعاصر فى العراق - داؤد سلوم - مطبعة المعارف البغداد ١٩٦٢

(١٦) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران - جمع وتقديم ميخائيل نعيمة - بيروت ١٩٦٤ .

(١٧) تطور الشعرالعربى الحديث فى العراق - الدكتور على عباس علوان - وزارة الاعلام - العراق ، ١٩٧٥

(١٨) عن اللغة والأدب والنقد - الدكتور محمد أحمد العزب - الطبعه الأولى - دارالمعارف ، القاهره، ١٩٨٠

(١٩) مذاهب الأدب معالم و انعكاسات - الدكتور ياسين الأيوبى، الطبعة الثانية، دارالعلم للملايين. بيروت ١٩٨٤

(٢٠) فصول فى الشعر ونقده - الدكتور شوقى ضيف ، الطبعة الغانية، دارالمعارف، القاهرة ، الطبعة الخامسة،

(٢١) الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية - الدكتور بكرى شيخ أميس،

دارالعلم للملايين بيروت ، ١٩٨٦

(٢٢) الدلالة الإجتماعية لحركة الأدب الرومانطيقى فى لبنان ـ يمنى العيد

(٢٣) الواقعية النقدية ـ س . بتروف ـ وزارة الصقافة ، دمشق ، عام ١٩٨٣م.

(٢٤) الشعر كيف نفهمه و نتذوقه ـ اليزابيث درو ـ ترجمة محمد إبراهيم الشويس ، طبعة عنانى الجديدة ، بيروت ١٩٦١م

(٢٥) رفائيل ـ لامرتين ـ ترجمة أحمد حسن زيات طبعة ١٩٦٨ م

(٢٦) شعراء مصر و بيئاتهم فى الجيل الماضى ـ العقاد ـ القاهرة ١٩٣٧م

(٢٧) الرومانطيقية و معالمها فى الشعر العربى الحديث ـ عيسى يوسف بلاطة ـ بيروت

(٢٨) دراسات فى الشعر العربى المعاصر ـ الدكتور شوقى ضيف ـ طبعة دار المعارف ، القاهرة

(٢٩) معالم النقد الأدبى ـ عبدالرحمن عثمان ـ دارالمعارف ، مصر ، ١٩٦٤م

المراجع الإنجليزية

1. Haywood, J.A: Modern Arabic leterature (1800-1970) an introduction with extracts in translation lurd humpheries, loudon 1971.
2. Mahdi, Ismat : Modern Arabic literature (1900-1967) Dairatul Maarif Press Osmania University Hyderabad. First published, 1983.
3. Salma Khadra Jayyusi : Trends and Movements in Modern Arabic Poetry, Lieden E.J. Brill.
4. J. A. Cuddon : Dictionary of Literary terms and literary theory, Penguin Books, London.
5. Visvanath Chatterjee : The Romentic Tradition, Department of English, Jadavpur University, Calcutta.

محتويات البحث

العناوين	الصفحة
مقدمة	١
الباب الأول الحركة الرومانسية	
الفصل الأول	
النشأة التاريخية للحركة الرومانسية	٤
الفصل الثانى	
الأسباب و العوامل التى دفعت إلى ظهور الحركة الرومانسية	١٦
موضوعات الرومانسية	٢٣
الفصل الثالث	
الرومانسية فى الأدب العربى الحديث	٢٩
الباب الثانى ميزات الحركة الرومانسية العربية	
الفصل الأول	
الرومانسية فى أدب مدرسة الديوان	٣٧

الفصل الثانى

الرومانسية فى أدب جماعة أبولو ٤٣

الفصل الثالث

الرومانسية فى أدب المهجر ٤٩

خصائص أدب المهجرى ٥٤

الباب الثالث مساهمة جبران خليل جبران

فى الحركة الرومانسية

الفصل الأول

حياته ٦٨

أسلوب جبران خليل جبران ٧٢

الفصل الثانى

آثاره الأدبية ٧٩

الفصل الثالث

الرومانسية فى أدب جبران ٩٧

خاتمة البحث ١٠٤

المراجع و المصادر ١٠٦